سنة الله فى الهدى والضلال

مفهومها ومدى الاستفادة منها

فى ضوء القرآن الكريم

دكتور

شعبان رمضان محمود مقلد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية التربية بالجوف

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، خاتم الأنبياء والمرسلين ..... وبعد

فإن هذا الكون بما فيه، بل إن العالم بأسره وما يحدث فيه من أحداث وغيرها، كل هذا لا يحدث في الكون ولا في العالم صدفة، وإنما يحدث طبقاً لقوانين ثابتة عامة متناهية في الدقة والاطراد، وبما أن الإنسان خلق من هذا العالم ، فهو يجري عليه من تلك القوانين الثابتة ما يناسب خلقته وتكوينه من أحوال ونتائج تترتب على هذه الأحوال من مثل السعادة والشقاء والقوة والضعف .. إلى آخر ما يصيبه في الدنيا والآخرة.

وتعرف هذه القوانين بالسنن الإلهية في هذا العالم سواء ما كان منها في الكون أو في الإنسان ، أو في غير ذلك من مخلوقاته.

هذه القوانين الثابتة مع النتائج التى ترتبت عليها تنبئ – للناظر المتأمل – عن عظيم قدرة الباري – سبحانه وتعالى – وعن باهر حكمته، وتفرده بالكمال والجلال.

هذه القوانين نعمة عظيمة من نعم الله – سبحانه – للإنسان يسير بها في هذا الكون على وعي وبصيرة، وهدى ونور.

ومن هذه القوانين أو تلك السنن: قانون الله في هداية الخلق أو إضلالهم.

وقد بين الله لكل ذي عينين من خلقه هذا القانون، عن طريق ما يقع له أو أمامه في حياته اليومية، وإما آيات قرآنه الحكيم، والتى وردت تربو

عن الحصر كاشفة عن هذه السنة العظيمة، مظهرة مقدماتها ونتائجها وكيفية الانتفاع بها، وواجب المسلم تجاهها، ومن يقرأ آيات القرآن الكريم، ويتعرف على هذه السنة، أو تنكشف أمامه في حياته اليومية، فلا عليه إلا أن يأطر نفسه على الانتفاع بها والعمل بمقتضاها، وإلا ستكون حجة عليه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء ٨٨،٨٩)

ورغبة في كشف النقاب هذه السنة، رجاء زيادة التبصر والانتفاع بها من قبل كاتب هذه السطور قبل قارئها، نبعت فكرة هذا البحث، كما أن لفكرة البحث وأهميته أسباباً أخرى منها:

- عدم وضوح هذه السنة عند الكثير من البشر، اللهم إلا من وهبه الله بصيرة نافذة ، وقلباً واعياً.
- ندرة اهتمام الباحثين والكتاب بإظهار هذه السنة.
- إهمال المناهج الدراسية – حتى الإسلامية منها– مع صلتها الوثيقة بالعقيدة الإسلامية.
- أهمية فهم السنن الإلهية في الهداية والإضلال؛ لما يترتب على ذلك من نجاة الإنسان أو هلاكه.

<u>منهج البحث وآليته</u>

يعتمد البحث – بمشيئة الله تعالى – على استقراء آيات القرآن الكريم ، وجمع الآيات التي لها صلة بموضوع البحث (سنة الله في الهداية والضلال) ثم تصنيفها وترتيبها موضوعياً في إطار الموضوع الأساس ، ثم نسج أجزاء الموضوع والربط بينها ليعطي انطباعاً متكاملاً ويفيد إفادة تامة وافية. ولا

أداعي السبق في هذا المجال، ولكن أحاول أن أضع لبنة في البناء علها تسد فجوة، أو ترشد ناظراً، أو تعطي فكرة، فقد سبقني إلى الكتابة فيه غير واحد من الأفذاذ، وقد أفدت من الكثير منهم، أذكر على سبيل المثال:

الدكتور: عبد الكريم زيدان، في: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد .

الدكتور: شريف صالح الخطيب، في : السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، وعمر أحمد محمد، في: السنن الإلهية في النفس البشرية

الدكتور: راشد سعيد شهوان، في : رسالته للدكتوراه: السنن الربانية في التصور الإسلامي(وإن كنت لم أستطع التوصل إليها)

الدكتور: رمضان خميس زكي في: مفهوم السنن الربانية دراسة في ضوء القرآن الكريم .

غير أن الجديد الذى أصبو إليه هو إبراز دراسة متكاملة عن سنة من هذه السنن ، وهي سنة الهداية والضلال، ولا أظن – حسب قراءاتي– أن أحداً أفرد هذا الموضوع بالحديث، اللهم إلا ما جاء في ثنايا الحديث عن السنن بوجه عام.

هذا وقد اقتضت طريقة تنظيم البحث ومعالجته أن يكون في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة. أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، وأسباب الإقدام عليه، ومنهج البحث وطريقة تنظيمه.

ثم يأتي الفصل الأول – الذى هو بمثابة فصل تمهيدي – بعنوان: مفهوم سنة الهدى والضلال ويشتمل على ثلاثة مباحث، وتعقيب

المبحث الأول: السنة في لغة العرب، وفي اصطلاح العلماء

المبحث الثاني: الهدى في لغة العرب، وفي اصطلاح العلماء

المبحث الثالث: الضلال في لغة العرب، وفي اصطلاح العلماء

التعقيب

ثم الفصل الثاني: سنة الهدى والضلال في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: صيغ السنن معانيها ودلالتها في القرآن الكريم

المبحث الثاني: معاني صيغتي الهدى والضلال في القرآن الكريم

المبحث الثالث: معاني ودلالة سنة الهدى والضلال في القرآن الكريم

ثم الفصل الثالث: أنواع الهدى والضلال وأسبابهما

.وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أنواع الهدى والضلال

المبحث الثاني: أسباب الهدى والضلال

المبحث الثالث: مشيئة الله ومشيئة العبد

ثم الفصل الرابع : فوائد دراسة سنة الهدى والضلال ومدى الاستفادة منها.

وأخيراً الخاتمة وتتضمن أهم نتائج البحث ، ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله شاهداً لنا لا حجة علينا . إنه أعظم مسؤول، وأكرم مأمول

الفصل الأول

مفهوم سنة الهدى والضلال

المبحث الأول : السنة في لغة العرب، وفي اصطلاح العلماء

أولا : السنة في لغة العرب

السنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة، يريد من عملها ليقتدي به فيها، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنه ، وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيه؛.....

وسنها الله للناس: بينها. وسن الله سنة أي بين طريقاً قويماً. قال الله تعالى﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾[1]

السنة مفرد، وجمعها: سنن، والسنن – بالفتح – الطريقة يقال استقام فلان على سنن واحد، ويقال امض على سننك أي على وجهك... [2]

وعند الزمخشري: سن سنة حسنة، وألزم سنن الطريق: قصده، وسنن الفرس: عدوه إقبالاً وإدباراً في نشاط ، وسن إبله: أحسن رعيها وصقلها كما يسن السف، وسن الأمير رعيته: أحسن سياستها... واستننت الطرق: وضحت كل مذهب. [3]

---

(1) الأحزاب من الآية٣٨،وانظر : ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ٦٣٠-٧١١هـ، في لسان العرب، مادة: (سنن) ط/ بولاق – الدار المصرية للتأليف والترجمة

(2) الرازي: أبو بكر عبد القادر ت٧٢١هـ في: مختار الصحاح / مادة : (سنن) ط / مكتبة لبنان ناشرون،بيروت ١٤١٥– ١٩٩٥ ط/ جديدة تحقيق محمود خاطر

(3) الزمخشري: أبو القاسم عمر بن أحمد بن محمد في: أساس البلاغة مادة (سنن) ٤٦٢/١، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ثالثة ١٩٨٥م

وعند الراغب: سنة الوجه: طريقته، وسنة النبي-ﷺ- طريقته التي كان يتحراها، وسنة الله – تعالى – قد تقال لطريقة حكمته، وطريقة طاعته.[1]
وصاحب المقاييس يرى أن (سن) أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة ويسر... والأصل فيه قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سناً إذا أرسلته إرسالاً.[2]

وقال صاحب المنار: السنن جمع سنة، وهي الطريقة المعبدة، والسيرة المتبعة أو المثال المتبع.[3]

فالسنة في معناها اللغوي هي : الطريقة أو السيرة سواء أكانت حسنة أم سيئة، ففي الحديث الشريف : (من سنّ في الإسلام سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء.)[4] ومن هنا يتضح لنا أن الاستعمال اللغوى للفظ

---

(1) الأصفهاني: الراغب في مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٦٥٤/٢، ط/ دار المعرفة، بيروت

(2) أبو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ في: معجم مقاييس اللغة ١٦/٣ تحقيق وضبط/ عبد السلام محمد هارون، ط/مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر، ط/ ثانية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م

(3) –رضا : محمد رشيد في تفسير المنار ١١٤/٤، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/ ١٩٧٣م

(4) الفيرز بادي: مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢٩٧/٣، تحقيق : محمد على النجار، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط/ ثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، والحديث رواه مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسن ٢٠٦-٢٦١هـ في صحيحه: كتاب الزكاة، باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة برقم ٢٣٤٨،ط / دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله ١٦٤- ٢٤١هـ في مسنده، كتاب : ومن حديث جرير بن عبد الله، باب: ومن حديث جرير بن عبد الله، برقم ١٨٦٧٥،ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ أولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم ، وابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني أبو عبد الله في: سننه،ك: باب تعظيم حديث رسول اللهﷺ-،باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم: ٢٠٣، ط/ دار الفكر، بيروت ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(سنة) يدور بين عدة معان منها: البيان والتوضيح والتمهيد، والسيرة والطريقة،والقصد، والخطة المتبعة، والحكم والمنهج.

ثانياً السنة في اصطلاح العلماء

لأهل كل علم تعريف اصطلاحي للفظ (السنة) حسب ما يتوافق علمهم مع المادة اللغوية للكلمة، وما يهمنا رؤية المفسرين للفظة وتعريفهم لها، فقد قال الإمام الرزي: السنة : الطريقة المستقيمة والمثال المتبع.[1]

وقال ابن تيمية : السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما يفعل بنظيره الأول، ولهذا أمر الله – تعالى- بالاعتبار فقال ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [2].

وقال الشوكاني: المراد بالسنن : ما سنة الله في الأمم من وقائع.[3]

وقال صاحب المنار: السنة هي النظام الذي جري عليه أمر الأمم، وإن ما يقع للناس في كل زمن من الأزمان، وفي كل مكان من الوجود في شؤون اجتماعهم وحياتهم مطابق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل.[4]

---

(1) الرازي : محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ٥٤٤- ٦٠٤هـ في : مفاتيح الغيب ٢٢/١٥،ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط/ أولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

(2) الاية من سورة يوسف ١١١، وانظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم – شيخ الإسلام – في مجموع الفتاوى ٢٦٧/٣، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن بن قاسم العاصمي النجدى، وابنه محمد طبع بإشراف: الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ط/ أولى ١٣٩٨هـ<

(3) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ت١٢٥٠هـ في: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ١٩/١٣، ط/مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط/ ثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

(4) رضا : محمد رشيد في : تفسير المنار ١٤١/٤، ط/ دار المعارف، بيروت، لبنان.

وقال صاحب الظلال: السنن هي النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين.[1]

ومن تعريفات المعاصرين يقول الدكتور عبد الكريم زيدان:

يلاحظ أن هذه الكلمة يدور معناها على معنى: الطريقة المتبعة، فيكون معنى سنة الله: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة.[2]

ويقول الخطيب في التعريف الذي اختاره للسنة:

السنة الإلهية: منهج الله – تعالى – في تسيير هذا الكون، وعمارته وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي، على مقتضى حكمته وعدله[3].

ويستخلص الدكتور صديق أكثر من تعريف للسنة نذكر منها التعريف الاتي:

---

(1) قطب : الشيخ سيد، في ظلال القرآن ١/٤٧٩، ط/دار الشروق، ط/ ثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(2) زيدان: د/ عبد الكريم في: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ص١٣، / مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط/ ثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

(3) الخطيب: د/شريف الشيخ صالح أحمد، في السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك ١/٢٧، ط/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض ط/ أولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

هـي عـادة الله وطريقتـه الجاريـة فيمـا يوقعـه بعبـاده المصـدقين الملتـزمين، ومقابلها بعباده الكافرين المشاقين، وغيرهم، كل على حسب عمله ومنهجـه الذى التزمه[1].

وبعد ذكر هذه التعريفات نستطيع أن نقول: أن السنن الإلهية تعني: حكـم الله –سبحانه وتعالى– وقوانينه ومناهجه وفق مشيئته وعدله وحكمتـه فـي مخلوقاته.

---

(1) أبو الحسن: د/ صديق عبد العظيم، في: مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم ص٤٤ (بحث منشور بمجلة : الشريعة والدراسات الإسلامية " مجلة علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت" السنة ١٣، العدد ٣١، ذو القعدة ١٤١٧هـ أبريل ١٩٩٧م)

المبحث الثانى

الهدى فى لغة العرب، وفى اصطلاح العلماء

الهدى ضد الضلال،وهو الرشاد، والدلالة أنثى – أي أن اللفظ مؤنث – وقد حكى فيها التذكير.... قال الكسائي: بعض بني أسد يؤنثه، يقول: هذه هدى مستقيمة، ومن أسماء الله تعالى سبحانه " الهادى" قال ابن الأثير: هو الذى بصر عباده، وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده.[1] والهداية في الأصل: بمعنى الإرشاد والدلالة، وهداه للطريق أي أرشده إليه، ومعناها العام هي الدلالة والتوجيه والتعليم برفق لا عنف فيه.[2]

والهداية شرعا تعني : الاهتداء إلى الإسلام والإيمان به والإعانة على ذلك، والهداية دلالة بلطف، ومنه : الهدية، وهوادي الوحش. أى : متقدماتها الهادية لغيرها، وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت. نحو: أهديت الهدية، وهديت إلى البيت.[3]

الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب،وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب[4]

---

(1) اللسان ٣٥٣/١٥

(2) الفيروز بادي ك مجد الدين محمد بن يعقوب ت٨١٧هـ في بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٣١٢/٥، تحقيق: عبد العليم الطحاوي ، ط/ المكتبة العلمية، بيروت، لبنان

(3) الأصفهاني: الراغب في: مفردات ألفاظ القرآن الكريم ٦٥٤/٢، ط/دار المعرفة، بيروت

(4) الجرجاني: على بن محمد بن على ٧٤٠- ٨١٦هـ في: التعريفات باب الهاء ٣١٩/١ط/ دار الفكر العربي، بيروت ط/ أولى١٤٠٥، تحقيك إبراهيم الإبياري

أما عن تعريف المفسرين لها، فقد قال الشوكاني : إنه النور والبرهان والاستقامة والسداد والتوفيق[١] وعرفها الزمخشري بأنها : الدلالة الموصلة إلى البغية، بدليل وقوع الضلال في مقابلته[٢].

فالهداية: معرفة الحقيقة بعد ان كانت خافية على الإنسان، كالهداية إلى سبل السلام التي لا تعرف بسهولة. وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدى فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه.[٣]

---

(١) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ت١٢٥٠هـ في : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ٣٦/١، ط/دار الكتاب العربي، بيروت،ط/ثانية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

(٢) الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر في الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٤٨/١ط / دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت

(٣) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ٦٥/١ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ٦٩١– ٧٥١هـ ط/ دار الفكر – بيروت ١٣٩٨– ١٩٧٨م. تحقيق: محمد بدر الدين ابو فراس النعساني الحلبي

المبحث الثالث

الضلال فى لغة العرب،وفى اصطلاح العلماء

الضلال والضلالة: ضد الهدى والرشاد، ضللت تضل هذه اللغة الفصيحة، وضللت تضل ضلالا وضلالة... أهل الحجاز يقولون: ضللت أضل ، وأهل نجد يقولون: ضللت أضل، قال وقد قرئ بهما جميعا قوله – عز وجل – ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ (سورة سبأ الآية٥٠) وأهل العالية يقولون : ضللت بالكسر أضل،وهو ضال تال وهي الضلالة والتلالة، وقال الجوهري لغة نجد هي الفصيحة.[1] وضللت بعيري: إذا كان معقولاً فلم تهتدى لمكانه، وضل عني: ضاع، وضللته: أنسيته، والضلال : العدول عن الطريق المستقيم، ويضاده الهداية، قال تعالى:﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (يونس١٠٨) ويقال لكل عدول عن المنهج عمداً أو سهواً، يسيراً كان أو كثيراً : ضلال، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جداً. والضلال فهو سير الإنسان فى طريق لا يوصل إلى الهدف السليم، كما يطلق الضلال على من اختار هدفا غير سليم وإن سلك الطريق الموصل إليه ووجد من يعنيه للوصول إلى الهدف الخاطئ. فالسارق الذي يهدف للسرقة ربما نجح فى تخطيطه وسعيه ووجد من يساعده ووصل إلى المال واستحوذ عليه. ولكنه فى ضلال لأن الهدف غير مشروع أصلاً.[2]

---

(1) اللسان مادة (ضلل) ٣٩٠/١١

(2) الفيروز بادي، فى بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٤٨١/٣ ،والأصفهاني: الراغب، فى مفردات ألفاظ القرآن ٦٧/٢

والضلال : فقد ما يوصل إلى المطلوب، والضلال شرعا هو الانحراف عن الإسلام. وقيل : سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب... والضلال عند أهل الأذواق: انحراف يحصل في سلسلة عالم الخلق، فيقع في عالم الأمر.(١)

تعقيب

وبالتأمل في التعاريف التي ذكرناها سابقاً، والتي يتركب منها عنوان بحثنا يتضح لنا أننا إذا أردنا أن نستوضح معنى العنوان بتمامه: " سنة الله في الهدى والضلال" يمكننا استخلاص المعنى التالي:

منهج الله وطريقته في إرشاد العباد ودلالتهم إلى الطريق المستقيم، أو إبعادهم عنه.

---

(١) المناوي: محمد عبد الرؤوف ٩٥٢-١٠٣١هـ في: التوقيف على مهمات التعاريف فصل اللام ١/٤٧٤، ط/ دار الفكر المعاصر، بيروت، ط أولى ١٤١٠هـ تحقيق : محمد رضوان الداية

الفصل الثاني

سنة الهدى والضلال فى القرآن الكريم

المبحث الأول: صيغ السنن معانيها ودلالتها فى القرآن الكريم

أولاً: لفظ "سنة" في القرآن الكريم

ورد لفظ "سنة" ومشتقاتها فى القرآن الكريم ست عشرة مرة،ضمن إحدى عشرة آية، في عشر سور، وتنوعت فى ورودها على صيغ متعددة، على النحو التالى:

وردت مفردة – أي غير مجموعة – فى تسع مواضيع هى:

وهذه المواضع التسعة وإن كان ورودها فيها مفردة لكنها من قبيل المفرد المضاف، فأضيفت إلى لفظ " الأولين" أربع مرات هى:

﴿قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ ﴾ (الأنفال ٣٨)

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ (الحجر١٣)

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف ٥٥)

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر٤٣)

كما أضيفت إلى لفظ الجلالة " الله" ست مرات،مرة منها فى سورة فاطر، وهي الآية السابقة، وأربع فى سورة الأحزاب، والخامسة فى سورة الفتح

وهى: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (الأحزاب٣٨)

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب٦٢) ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ (غافر ٨٥)

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح٢٣)

كما أضيفت إلى ضمير العظمة لله –سبحانه – مرة في قول الله – عز وجل–

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾(الإسراء٧٧) وأضيفت على الرسل مرتين، الأولى بصيغة الجمع المضاف فى آية النساء السابقة والثانية فى قوله – سبحانه–

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء ٢٦) وورد اللفظ مجموعاً مرتين،الأولى فى آية الإسراء السابقة ، والثانية – بصيغة الجمع المضاف فى آية النساء السابقة، والثانية فى قوله – سبحانه –

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران١٣٧)

ثانياً : معاني ودلالة لفظ "سنة" في القرآن الكريم

إذا أمعنا النظر فى هذه المادة في القرآن الكريم وما ذكره المفسرون فى دلالاتها يتبين لنا التالي: أن في قول الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الفتح ٢٣) المقصود بالسنة هنا: هذا منهج الله وعادته فى خلقه،أنه ما تقابل الكفر والإيمان فى موطن فيصل إلا نصر الله

الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل، وهذا منهج الله فى نصر أوليائه على أعدائه.[1]

قال الطبرى: وقوله﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ﴾ يقول تعالى ذكره: لو قاتلكم هؤلاء الكفار من قريش، لخذلهم الله حتى يهزمهم عنكم خذلانه أمثالهم من أهل الكفر به، الذين قاتلوا أولياءه من الأمم الذين مضوا قبلهم... وقوله ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمدﷺ : ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييرا،بل ذلك دائم للإحسان جزائه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال.[2]

وفي قول الله تعالى :﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر ٨٥) مقصودها : أن هذا حكم الله فى جميع من تاب بعد معاينة العذاب، أنه لا يقبل منه، وبعبارة أخرى : أن الله سن هذه السنة فى الأمم كلها: أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب.[3]

وفي قول الله تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب٦٢) سن الله تعالى ذلك في الأمم الماضية سنة، وهى قتال الذين يسعون بالفساد بين قوم وإجلائهم عن أوطانهم وقهرهم أينما ثقفوا متصفين بذلك.[4]

---

(1) القرطبى أبو عبد الله في: الجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/١٦، ط/دار الكتب العلمية، بيروت، وتفسير الجلالين ص٦٨٠،ط/دار إحياء التراث العربي، ط أولى

(2) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير فى: جامع البيان ٣٥٤/١١، ط/ دار المعرفة، بيروت ط/ ١٩٩٠م.

(3) الآلوسي البغدادى فى :روح المعانى ١٠٢/٢٤، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، والجلالين٦٩٢

(4) الآلوسي في : روح المعاني ٩٦/٢٢.

وفي قو الله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران١٣٧) مقصود السنن: ما سنه الله فى الأمم من وقائع، أو أن ما جرى على المسلمين فى أحد جرى مثله على الأمم السابقة[١]،

وفى قول الله تعالى : ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب٣٨)

أن: هذا حكم الله – تعالى – له – ﷺ – وللأنبياء قبله، لم يكن يأمرهم بشئ وعليهم فى ذلك حرج، أو أن هذا هو السنن الأقدم فى الأنبياء والأمم الماضية أن ينالوا ما أحله الله لهم.[٢] وفى قول الله تعالى:﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ (الإسراء ٧٧)

المقصود: أننا سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك: أنهم إذا أخرجوا نبيهم أو قتلوه لم يلبث العذاب أن يحل بهم، أو أن هذه عادتنا فى الذين كفروا برسلهم،وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم أن يأتيهم العذاب.[٣]

وفي قول الله تعالى:﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النساء ٢٦) يهديكم طرائقهم لتقتدوا

---

(١) البغوي: أبي الحسين محمد الفراء فى معالم التنزيل ٣٥٤/٤، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، والشوكاني فى: فتح القدير ٣٧٦/١.

(٢) الطبري فى : جامع البيان ١١/٢٢، ١٢، والبغوي فيك معالم التنزيل ٥٣٣/٢٢.

(٣) الطبري في: جامع البيان ٩٠/١٥، السعدي: عبد الرحمن بن ناصر ١٣٠٧-١٣٧٦هـ فى : تيسير الكريم الرحمن ١٧٨/٤، ط/ دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، أولى / ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

بها، أو ليبين لكم طرائقهم الحميدة، واتباعهم شرائع الله التي يحبها ويرضاها.[1]

وفي قول الله – تعالى – : ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر٤٣)

وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب. يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذى أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم. وقوله﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلاً: يقول: لن يغير ذلك،ولا يبدله، لأنه لا مرد لقضائه.[2].

وفي الآيات التالية ﴿ قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِين ﴾ (الأنفال ٣٨)

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ ﴾ (الحجر ١٣)

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ (الكهف٥٥)

﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر ٤٣)

---

(١) الشوكاني في: فتح القدير ٤٤٥/١، البغوي في : معالم التنزيل ٤١٧/٥.

(٢) الطبري في : جامع البيان ٤٢١/١.

المقصود بالسنة في هذه الآيات: " سُنَّةُ الأَوَّلِينَ" ما أحل بقريش يوم بدر، وبمن سبقها من الأمم، أو ما مضى من الأمم السابقة من عذاب من قام بقتل الأنبياء وأصر على الكفر، أو وقائع الله تعالى الإهلاك فيمن كذب الرسل من الأمم الخالية.[1]

---

(1) الطبري في: جامع البيان ٩٥/٢٢، القرطبي ٧/١٠، وابن كثير: أبو عبد الله محمد في : تفسير القرآن العظيم ٤٩٦/٦، ط/دار إحياء التراث العربي، بيروت، والسعدي في : تيسير الكريم الرحمن ٩٩/٣، البغوي في: معالم التنزيل ٤٥/١٤، ٥٧٥/٢٢.

المبحث الثاني

معاني صيغتي الهدى والضلال في القرآن الكريم

أولاً : صيغة الهدى ومعانيها:

ورد لفظ "الهدى" ومشتقاته في القرآن الكريم ما يقرب من ثلاثمائة وثمانية مرة، وأكثر وروده بلفظ "هدى" ويرد أحياناً باللفظ المجرد "هدى"، وأحياناً مسنداً إلى الضمائر المختلفة، كما أنه يرد أحياناً بلفظ الفعل الماضي، ومنه ما يرد بلفظ المضارع والأمر، ومن هذه الأفعال ما يرد مجرداً، ومنها ما يسند إلى بعض الضمائر المختلفة، ويرد أحياناً – إن كان قليلاً – بلفظ اسم الفاعل، وأحياناً بلفظ اسم المفعول، حتى وروده على هذين اللفظين اسم الفاعل واسم المفعول، فإنه أحياناً يرد مجرداً مسنداً إلى بعض هذه الضمائر[1] وهذه أمثلة لبعض صيغ الهدى في آيات القرآن الكريم :﴿ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة ٥)

﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٦)

﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة ٣٨)

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٩٧)

---

[1] يراجع في ذلك: فهارس القرآن الكريم (فهرست الألفاظ) إعداد: محمد حسن الحمصي، وملحق بالمصحف الشريف، (مادة هدى) ط/ مؤسسة الإيمان، ودار الرشيد، بيروت ودمشق.

﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (البقرة ١٢٠)

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ۝ هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٨)

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام ٧١)

﴿ ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام٨٨)

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر ٢٣) ولا نريد أن نطيل فى ذكر الأمثلة على لفظ الهدى فهى واضحة في القرآن لكل ذي عينين،وما يهمنا فى هذا المقام ان نتعرف على المعانى التى يدور عليها اللفظ فى القرآن الكريم.

الهدى والرحمة

ذكر لفظ "الهدى" المجرد فى القرآن الكريم بعدد مرات لفظ " الرحمة" فلقد تكرر كل من اللفظين ٧٩ تسع وسبعون مرة فى القرآن الكريم، لازمت الرحمة الهدى فى ثلاث عشرة آية شريفة هي :

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٥٤)

وقوله : ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾(سورة الأنعام آية ١٥٧)

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف آية ٥٢)

وقوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (سورة الأعراف آية ١٥٤)

وقوله : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(سورة الأعراف آية ٢٠٣)

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يونس٥٧)

وقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يوسف آية ١١١)

وقوله : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة النحل آية ٦٤)

وقوله: ﴿ وَيَوْم نبعث في كل أُمَّةٍ شهيدًا عليهم مِّنْ أنفسهم وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَـٰؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (سورة النحل آية ٨٩)

وقوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة النمل آية٧٧)

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة القصص آية ٤٣)

وقوله: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (سورة لقمان آية٣)

وقوله: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (سورة الجاثية آية ٢٠)

ثم وردت منفردة في آيات أخرى... وذكر الهدى في آيات غيرها. [١]

معاني لفظ " الهدى" في القرآن الكريم

يدور لفظ "الهدى" في القرآن الكريم بين المعاني التالية:

الرشد،والنور، والأنبياء والرسل، والإسلام، والكتاب والرسول، والدليل الذى يهدي الطريق، والدين المستقيم، وبيان ذلك على النحو التالي:

•ورد لفظ "هدى" بمعنى الرشد في قول الله – تعالى–

﴿ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة٥) [٢]

وعند الإمام الطبري بمعنى النور والرشد: عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيﷺ : هُدًى للمتَّقِينَ يقول : نور للمتقين. والهدى في هذا الموضع مصدر من قولك: هديت فلانا

---

(١) الإعجاز العددي للقرآن الكريم عبد الرازق نوفل ط/مؤسسة دار الشعب ط/ ١٩٧٦م.

(٢) انظر : التبيان في تفسير غريب القرآن ١/٥٤

الطريق إذا أرشدته إليه، ودللته عليه، وبينته له.[١] وورد اللفظ بمعنى الأنبياء والرسل في قول الله – تعالى -﴿قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة٣٨)

فاختار الطبري أن الهدى هنا بمعنى البيان والرشاد، ثم أورد رواية عن الربيع عن أبي العالية أنها: الأنبياء والرسل.[٢] وقيل هي هنا بمعنى : الكتاب والرسول.[٣] وورد اللفظ بمعنى الإسلام في قول الله – عز وجل – ﴿وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(آل عمران ٧٣)[٤]

•وورد اللفظ بمعنى الدليل والهادى الذي يدل على الطريق في قول الله – تعالى – ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (سورة طه١٠)[٥]

•وورد اللفظ بمعنى القرآن في قول الله – تعالى – ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه ١٢٣)[٦]

---

(١) الطبري في : جامع البيان ٧٦/١.

(٢) الطبري في : جامع البيان ١٩٣/١.

(٣) تفسير الجلالين ١٠/١

(٤) تفسير الجلالين ٧٦/١، وأقرأ : البقرة : ١٢٠، والأنعام: ٧١، والحج ٦٧.

(٥) الآلوسي في : روح المعاني ١٧٧/١٦.

(٦) الطبري في : جامع البيان ١٦٣/١٦.

وورد اللفظ بمعنى الدين المستقيم في قول الله – تعالى – ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج ٦٧)[1]

وذكر صاحب (الأشباه والنظائر) للفظ الهدى معاني عديدة نذكر منها:

• الهدى يعني: البيان تصديق ذلك في (حم فصلت)

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾:(فصلت :١٧) يعني بينا لهم. وقال في الإنسان :﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان:٣) يعني بينا له...ونحوه كثير.[2]

• "الهدي" يعني الإيمان، فذلك في قوله – تعالى – :﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾

(مريم ٧٦)، يعني يزيدهم إيمانا ، ونحوه الكثير.[3]

• " الهدى" يعني: داعيا ، فذلك قوله في "الرعد" ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ يعني النبي (ولكل قوم هاد) يعني داعيا يدعوهم وكقوله في الشورى : ﴿ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢)

وكقوله في الأعراف :﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الأعراف : ١٥٩) أي يدعون ، وكقوله في " السجدة":﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

---

(١) القرطبي ٩٣/١٢، الآلوسي في: روح المعاني ٢٠٧/١٧.

(٢) اقرأ سورة طه: ١٢٨، والسجدة: ٢٦

(٣) اقرأ : الكهف : ١٣، وسبأ: ٣٢، والزخرف: ٤٩

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة: ٢٤) أي يدعون. ونحوه كثير. [1]

* "الهدى" يعني : "معرفة" ، فذلك قوله تعالى في النحل: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل:١٦) يعني: يعرفون الطرق نظيرها في (الأنبياء) : ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (الأنبياء: ٣١) يعني: يعرفون الطرق، ونحوه كثير. [2]

* "الهدي"، يعني الكتب والرسل، فذلك قوله في البقرة: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة :٣٨) يعني رسلا وكتابا، نظيرها في طه حيث يقول: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه:١٢٣) يعني رسلا وكتابا.... الخ. [3]

هذه — تقريباً — هي المعاني التي ورد عليها لفظ "الهدى" في القرآن الكريم، على أن هناك أموراً تتعلق بمعنى اللفظ في القرآن أيضاً، نذكر بعضها — دون إطالة — قال الراغب في المفردات: والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد لكن قد خص الله عز وجل لفظه الهدى بما تولاه وأعطاه، واختص هو به دون ما هو إلى الإنسان نحو: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٢) ، ﴿ أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى

---

(١) في سورة الإسراء: ٩، والأحقاف: ٣٠، الجن: ٢، الصافات: ٢٣

(٢) مثل ما في سورة طه :٨٢، والنمل :٤١.

(٣) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم للإمام مقاتل بن سليمان، تحقيق د/ عبد الله محمود شحاته، منشورات: وزارة الثقافة والمكتبة العربية، د.ت (بتصرف واختصار) ص٨٩– ٩٥

مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة ٥)، ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨، واقرأ البقرة ١٦، ١٨٥ ، وآل عمران ١٣٨، والأنعام٧١، ٣٥، والنحل٣٧)

والاهتداء يختص بما يتحراه الإنسان على طريق الاختيار؛ إما في الأمور الدنيوية، أو الأخروية. قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (الأنعام/٩٧) ويقال المهتدى لمن يقتدى بعالم نحو: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة /١٠٤) تنبيها أنهم لا يعلمون بأنفسهم ولا يقتدون بعالم، وقوله:﴿ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (النمل/٩٢) فإن الاهتداء ههنا يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية،ومن الاقتداء، ومن تحريها، وكذا قوله:﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾(النمل /٢٤) وقوله :﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه /٨٢) فمعناه : ثم أدام طلب الهداية، ولم يفتر عن تحريه، ولم يرجع إلى المعصية. وقوله: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ الآيتان: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ۞ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٥٦/١٥٧) أي: الذين تحروا هدايته وقبلوها وعملوا بها،وقال مخبرا عنهم: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾(الزخرف/٤٩). [1]

---

[1] الراغب في: مفردات ألفاظ القرآن ٢/٦٦١، ٦٦٢

وعن طلب الهدي وقبوله ممن يريد ذلك يقول الراغب:
وقوله: ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ (الإسراء/٩٧)، أي: طالب: الهدى ومتحريه هو الذى يوفقه ويهديه إلى طريق الجنة لا من ضاده، فيتحرى طريق الضلال والكفر كقوله: ﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبه/٣٧)، وفي أخرى "الظالمين" (التوبة/١٠٩)، وقوله :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر/٣) الكاذب الكفار: هو الذي لا يقبل هدايته؛ فإن ذلك راجع إلى هذا وإن لم يكن لفظه موضوعا لذلك، ومن لم يقبل هدايته لم يهده، كقولك: من لم يقبل هديتى لم أهد له، ومن لم يقبل عطيتى لم أعطه، ومن رغب عنى لم أرغب فيه، وعلى هذا النحو:﴿ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة/١٠٩) وفى أخرى : "الفاسقين" (التوبة/٨٠)[١]

ثانياً: صيغة الضلال ومعانيها

ورد لفظ "الضلال" ومشتقاته فى القرآن الكريم ما يقرب من ١٨٩مائة وتسع وثمانين مرة، يتقدمها الاسم نفسه "ضلال" سبعا وثلاثين مرة، ثم الماضى منه"ضل" ستا وعشرين مرة، ثم المضارع منه "يضل"سبع عشرة مرة، ثم جمع المذكر السالم ثلاث عشرة مرة، ثم الفعل المضارع "يضل"، والماضى المسند إلى واو الجماعة "ضلوا" فقد ورد كل منهم اثنتا عشرة مرة، ثم لفظ "أضل" التى للتفضيل تسع مرات، ولفظ "ضلالة" سبع مرات، ثم "أضل" الماضي،و"يضل"

---

(١) الراغب في: مفردات ألفاظ القرآن ٦٥٨/٢، ٦٥٧

المضارع لكل منهما ست مرات ، ثم وردت بقية الصيغ ما بين ثلاث مرات، أو مرتين، أو مرة واحدة. [١]

أما تفسير "الضلال" عند المفسرين فقد جاء على أوجه منها:

الضلال نقيض الهدى، وأصله من الضياع. [٢]، وذلك في قول الله – سبحانه- "ولا الضالين" (الفاتحة٧) ، فقد قيل: عني بالضالين النصارى لحديث عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : (إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى)[٣]

الضلال بمعنى الخذلان وسلب التوفيق. [٤] ، وذلك في قول الله – عز وجل- ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ (النساء١٤٣)

الضلال بمعنى ذوبان العقل في الشيء، مثلما ضل يعقوب – عليه وعلى نبينا السلام – في محبة يوسف، أي ذاب عقله في محبته، وليس الضلال في الدين، كما أن ذوبان العقل هنا كناية عن شدة المحبة. [٥] ، وذلك في قول الله – عز وجل – ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ

---

(١) يراجع في ذلك: فهارس القرآن الكريم (فهرست الألفاظ) إعداد: محمد حسن الحمصي، ملحق بالمصحف الشريف، (مادة ضلل) ط/مؤسسة الإيمان، ودار الرشيد، بيروت ودمشق.

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن ١/٥٣

(٣) أخرجه أحمد في مسنده،ك: بقية حديث عدي بن حاتم، باب: بقية حديث عدي بن حاتم، برقم ١٨٨٩١ ، والبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ٣٨٤- ٤٥٨هـ في: سننه ،ك:قسم الفيء والغنيمة، باب التسوية في الغنيمة، برقم ١٣٢٠٦ ، وفي: شعب الإيمان،ك: ٢٩من الشعب، باب: أداء خمس المغنم إلى الإمام، برقم ٤٣٢٩

(٤) الشوكاني في: فتح القدير ١/٥٢٠

(٥) الفراء: أبي الحسين ت ٥٣٢٨- في: معاني القرآن ٣/٣٩٩، ط/ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط أولى ١٠٤٩هـ تحقيق: محمد علي الصابوني

أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف٨) الضلال بمعنى الانعدام والهلاك.[1]،
وذلك في قول الله – عز وجل – وما دعاء الكافرين إلا في ضلال .. ، وما كيد
الكافرين إلا..، وقوله – سبحانه – "إن المجرمين في ضلال وسعر"
الضلال بمعنى: ذهاب عن الصواب وسعر الجنون[2]. وذلك في قول الله – عز
وجل – "فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه"، وغير ذلك. هذه بعض المعاني التي
ورد عليها لفظ " الضلال" في القرآن الكريم،كما جاءت عند بعض المفسرين
على أن هناك أموراً تتعلق بمعنى اللفظ في القرآن أيضاً، نذكر بعضها- دون
الإطالة في ذلك – قال الراغب في المفردات: إذا كان الضلال – كما سبق أن
بينا في التعريف – ترك الطريق المستقيم عمدا كان أو سهوا ، قليلا كان أو
كثيرا، صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب
الضلال إلى الأنبياء، وقد يكون مقصد الراغب في ذلك: ممن يقع منه شئ
يستحق العتاب، أي أنه دون الأولى، أو ليس لديه علم بما سيأتيه في
المستقبل، إلا فلن يقبل منه هذا اللفظ بالنسبة للأنبياء وإلى الكفار، وإن كان
بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي -ﷺ- :﴿ وَوَجَدَكَ
ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضحى /٧)، أي: غير مهتد لما سيق إليك من النبوة. وقال في
يعقوب – عليه السلام -﴿ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾
(يوسف/٩٥)،وقال أولاده عنه :﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف
/٨)، إشارة إلى شفقه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك : ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا
لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف/٣٠) ، وقال عن موسي – عليه السلام – :

---

(1) تفسير الجلالين ٦٢١/١، ٦٢٤

(2) تفسير الجلالين ٧٠٦/١

﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (الشعراء/٢٠) ، تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله :﴿ أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى ﴾(البقرة/٢٨٢)، أي: تنسى، وذلك من النسيان الموضوع عن الإنسان...

ويضيف الراغب أوجه أخرى يأتي عليها لفظ (الضلال) في القرآن فيقول:

والضلال من وجه آخر ضربان: ضلال في العلوم النظرية، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته، ومعرفة النبوة، ونحوهما المشار إليهما بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ (النساء/١٣٦).

وضلال في العلوم العلمية، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات، والضلال البعيد: إشارة إلى ما هو كفر كقوله على ما تقدم من قوله :﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ﴾ (النساء/١٣٦)، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا ﴾ (النساء/١٦٧) ، وكقوله:﴿ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ (سبأ/٨)، أي: في عقوبة الضلال البعيد، وعلى ذلك قوله:﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك/٩)،﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة/٧٧)، وقوله:﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ (السجدة/١٠)، كناية عن الموت واستحالة البدن.

وقوله: ﴿ فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ (طه/٥٢)، أي : لا يضل عن ربي، ولا يضل ربي عنه:أي: لا يغفله، وقوله: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴾ (الفيل/٢)،أي: في باطل وإضلال لأنفسهم.[1]

([1]) الراغب في: مفردات ألفاظ القرآن ٢/٦٦٢/٦٦٣

المبحث الثالث

معانى ودلالة سنة الهدى والضلال فى القرآن الكريم

بعد أن تعرفنا على لفظتى الهدى والضلال، والمعانى التى وردت عليهما اللفظتين الكريمتين، يحق لنا أن ندقق فى آيات القرآن الكريم علنا نتعرف على سنة الهدى والضلال، ونتفهمها ونستفيد منها نحن وقارىء هذه السطور، فأول ما يبدو للناظر فى آيات الهدى والضلال فى القرآن الكريم، حقائق واضحة لكل ذي عينين. حقائق ثابتة فى سنة الهدى والضلال

والمتتبع لآيات الهدى والضلال فى القرآن الكريم، يدرك حقائق ثابتة فى هذه السنن، حقائق لا تتبدل ولا تتغير، وعلى ذلك يتوجب على كل مسلم يجهد نفسه التزام هذه الحقائق، والسعي على تحقيقها فى نفسه، حتى يجنى ثمارها فى دنياه وأخراه، وهذه الحقائق هى:

<u>١- ان هدى الله هو الهدى الحقيقى وهو الاسلام</u>

يتضح ذلك من تدبرنا للعديد من الآيات، ومنها قول الله تعالى﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾(سورة البقرة الآية ١٢٠) أي قال يا محمد إن هدى الله الذى بعثنى به هو الدين المستقيم الصحيح الشامل [١] الذي يصلح أن يسمي هدى وهوى الهدى كله ليس وراءه هدى. [٢]

قال الزمخشري فى قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ يعني أن هدى الله الذى هو الإسلام هو الهدى الحق والذى يسمى هدى وهو الهدى.

---

(١) تفسير ابن كثير، ص ١٦٣ وهو الهدى الحقيقى تفسير القرطبي، ج٢، ص٩٤.

(٢) تفسير الفخر الرازى، ج٤، ص ٣٤.

كله ليس وراءه هدى، وما تدعون اتباعه أيها اليهود والنصارى ما هو بهدى إنما هو هوى.[1] فهدى الله هو الهدى الذى أرسل به محمد - ﷺ - قال الله - تعالى - مخاطباً رسوله ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىَ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام ٧١)

قال الشوكانى فى تفسير قوله:﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ أمره الله - سبحانه - بأن يقول لهم : "إنَّ هُدَى اللَّهِ" أي دينه الذي ارتضاه لعباده "هُوَ الهُدَى" وما عداه باطل[2]

ويعقب صاحب الظلال: على أن الهدى من الله بخطاب إلى الرسول -ﷺ- يقرر سنة الله في الهدى والضلال:

﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (النحل٣٧) فليس الهدى أو الضلال بحرص الرسول على هدى القوم أو عدم حرصه، فوظيفته البلاغ. أما الهدى أو الضلال فيمضي وفق سنة الله وهذه السنة لا تتخلف ولا تتغير عواقبها، فمن أضله الله لأنه استحق الضلال وفق سنة الله، فإن الله لا يهديه، لأن لله سننا تعطي نتائجها. وهكذا شاء. والله فعال لما يشاء، وما لهم من ناصرين ينصرونهم من دون الله.[3]

---

(١) الزمخشري في تفسير الكشاف،ج١، ص١٨٣

(٢) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ١١٧٣- ١٢٥٠هـ في: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ١/٦٥٩، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ ثانية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

(٣) الظلال ٣/٢١٧١

٢- تهديد من أعرض عن هدى الله أو اتبع غيره

يحذر الله من يعرض عن هداه، أو يتبع غيره، قال الله – تعالى -: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا*قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴾ (طه ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦)

وهذا المعرض عن هدى الله له المعيشة الضنك أى الضيقة في الدنيا، لأن الضنك أصله الضيق والشدة. ووجه ضيق معيشته أنه شديد الحرص على الدنيا لصدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء أو أكل ما شاء وسكن حيث ما شاء فإن قلبه ما لم يعمره هدى الله لا يحس بسعادة ولا بطيب العيش.[1] وهذا في الدنيا، أما في الآخرة فقد مضت سنة الله في الجزاء أنه سيصيبه عقاب المعرضين عن هداه، ومن هذا العقاب حشره يوم القيامة أعمى لعماه عن آيات الله وهداه،﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ والمعنى ان هذا المعرض عن هدى الله يحشر يوم القيامة أعمي فيقول ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ أي في الدنيا فيقول الله تعالى له : ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ أي لما أعرضت عن آيات الله،وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليك فأنت قد عميت عنها؛ لأن من عمي عن شئ نسيه وتركه﴿ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ أى تترك في العمي كما كنت أعمى عن آيات الله، جزاءً وفاقاً، لأن الجزاء من جنس العمل.[2] وهذا العقاب الذي ينتظر المعرض عن هدى الله هو أشد وأبقى من عذاب الدنيا. وسيصيب أيضا

---

(1) تفسير الآلوسي، ج١٦،ص ٢٧٧.

(2) تفسير ابن الكثير، ج٣، ص١٦٩، تفسير الآلوسي،ج١٦، ص٢٧٨

المسرفين المكذبين بآيات الله ما أصاب المعرضين عن هدى الله من العيش الضنك في الدنيا والعذاب في الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ (١)

وقال الله تعالى في من يتبع غير هداه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (سورة النساء، الآية ١١٥) أي: ومن يخالف الرسول -ﷺ- ويعانده فيما جاء به ﴿ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾ بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي : نتركه وما اختاره لنفسه ونخذله فلا نوفقه للخير لكونه رأى الحق وعلمه وتركه فجزاؤه من الله عدلاً أن يبقيه في ضلاله حائراً ويزداد ضلالاً إلى ضلاله.(٢) وعند الإمام الرازي: ﴿ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي نتركه وما اختاره لنفسه ونكله إلى ما توكل عليه(٣) ومن المعلوم أن ما اختاره لنفسه هو سبيل الضلال، لأنه ليس بعد الحق — الإسلام الذي تركه — إلا الضلال، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ (سورة يونس الآية ٣٢).

---

(١) سورة طه١٢٧، وانظر: زيدان: د/ عبد الكريم، في: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ص ٤١،٤٠ بتصرف.

(٢) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر ١٣٠٧-١٣٧٦هـ في: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨٩/٢، ط/دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط/ أولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م

(٣) تفسير الرازي ٤٣/١١

فهدى الله هو الإسلام وهو الحق الواجب الاتباع، وما عداه هو الضلال الواجب تركه والإقلاع عنه، فمن تمسك به خسر تولى الله له ونصرته إياه وكان من الظالمين.[1]

ويقول الله – تعالى – : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف ٣٦)

قال الشوكاني – نقلاً عن الزجاج– : معنى الآية: أن من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكمة إلى أباطيل المضلين، يعاقبه الله بشيطان يقبضه له حتى يضله، ويلازمه قريناً له، فلا يهتدي مجازاة له حين آثر الباطل على الحق البين،﴿ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ أي ملازم له لا يفارقه، أو هو ملازم للشيطان لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أموره، ويطيعه في كل ما يوسوس به إليه[2].

وقال الله – تعالى – مخاطباً الرسول ﷺ ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (سورة البقرة الآية ١٢٠) وجاء في تفسير هذه الآية : يخبر تعالى رسوله أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الدين الذى هم عليه، ويزعمون أنه الهدى، فقل لهم :﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ﴾ الذى أرسلت به ﴿ هُوَ الْهُدَى﴾ وأما ما أنتم عليه فهو الهوى، بدليل قوله ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ فهذا

---

(١) زيدان: د/عبد الكريم، في: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ص٣٦، ط/مؤسسة الرسالة، لبنان، ط/ ثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م

(٢) الشوكاني: محمد بن علي في: فتح القدير ٧٧٥/٢

فيه النهى العظيم عن اتباع اليهود والنصارى، والتشبيه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله -ﷺ- فإن أمته داخلة فى ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب.[1] وفى آية أخرى يقول الله تعالى ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة البقرة،١٤٥)

وفى الآية تهديد ووعيد لمن يتبع أهل البطل فى باطلهم وأهوائهم استمالة لهم، فقد جاء فى تفسير هذه الآية: هذا الخطاب بهذا الوعيد لأعلى الناس مقاما عند الله تعالى وهو رسول اللهﷺ هو أشد وعيدا لغيره ممن يتبع الهوى ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ما هم عليه من الباطل، فإنه أورده بالخطاب للرسول ﷺ مع أن المراد أمته ليعلم المؤمنين أن أتباع أهواء الناس ولو لغرض صحيح، هو من الظلم العظيم الذى يقطع طريق الحق ويردي الناس في مهاوى الباطل، نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه ولا نزدجر عن اتباع اهواء الناس، ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم، حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها علناً، ويمازجونهم فيها، وإذا قيل لهم فى ذلك قالوا ماذا نعمل؟ ما في اليد حيلة! وأمثال هذه الكلمات، هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه فى الأرض، حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين، وأعجب من هذا أنك ترى هؤلاء المعترفين بهذا البدع والأهواء ينكرون على منكرها، ويسفهون رأيه ويعدونه عابثاً مجنوناً، إذ يحاول ما لا فائدة فيه – عندهم – فهم

---

(1) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، فى: تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ٧٥/١

يعرفون المنكر، وينكرون المعروف، ويدعون مع ذلك أنهم على شيء من العلم والدين ...[1]

٣- الفوز والفلاح لمتبع هدى الله من خلال تحقيق بعض المفاوز ومنها:

أ- السلامة من الخوف والحزن

ب- الابتعاد عن الضلال والشقاء

فالسلامة من الخوف والحزن يتمثل في قول الله تعالى: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة البقرة من الآية٣٨) فمن تبع هداي منكم بأن آمن برسلي للنهي﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وفي الآية الأخرى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (طه من الآية ١٢٣) فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن... فنفاهما عمن اتبع الهدى، وإذا انتفيا حصل ضدهما وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه، وإذا انتفيا ثبت ضدهما وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عن كل مكروه من الخوف والحزن والضلال والشقاء ، فحصل له المرغوب واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداه – سبحانه – فكفر به وكذب بآياته﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه، والغريم لغريمه﴿ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة من الآية ٣٩) لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون، وفي هذه الآيات وما أشبهها انقسام الخلق من

---

(١) رضا: محمد رشيد والشيخ محمد عبده، في: تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) ١٨/٢، ١٩ ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،

الإنس والجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم في الأمر والنهي.[١]

"قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل فلا خوف عليهم في ما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا.[٢] وفي تفسير المنار: المهتدون بهدى الله تعالى لا يخافون ممن هو آت ولا يحزنون على ما فات لأن اتباع الهدى يسهل عليهم سبيل اكتساب الخيرات ويعدهم لسعادة الدنيا والآخرة، ومن كانت هذه وجهته يسهل عليه كل ما يستقبله ويهون عليه كل ما أصابه أو فقده لأنه موقن بأن الله يخلفه[٣].

•وأما الابتعاد عن الضلال والشقاء فيتمثل في قول الله – تعالى – ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه من الآية ١٢٣) فهذه الآيات بينت سنة الله في متبع هواه وسنته من المعرض عنها والمقصود يهدى في هذه الآية كتبه التي أنزلها على رسله لتبليغها للناس.[٤] وأورد ابن كثير قول ابن عباس في هذه الآية (لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة).[٥]

قال الشوكاني: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي لا يضل في الدنيا، ولا يشقي في

---

(١) السعدي: في تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٢/٤١/١

(٢) تفسير ابن كثير ٨٢/١

(٣) تفسير المنار ٢٨٥/١

(٤) تفسير القرطبي، ج١١، ص ٢٥٨

(٥) تفسير ابن كثير ١٦٨/٣

الآخرة،﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي عن ديني وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه، ولم يتبع هداي، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي : فإن له في هذه الدنيا معيشة ضنكا أي عيشاً ضيقاً... ومعنى الآية: أن الله – عز وجل– جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشاً هنياً غير مهموم ولا مغموم ولا متعب نفسه، كما قال – سبحانه – " فلنحيينه حياة طيبة"، وجعل لمن يتبع هداه وأعرض عن دينه، أن يعيش عيشاً ضيقاً وفي تعب ونصب، ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب فهو في الأخرى أشد تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر نصباً. [1]

ومن ثم يعقب على هذا بخطاب إلى الرسولﷺ يقرر سنة الله في الهدى والضلال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (النحل٣٧) فليس الهدى أو الضلال بحرص الرسول على هدى القوم أو عدم حرصه، فوظيفته البلاغ. أما الهدى أو الضلال فيمضي وفق سنة الله وهذه السنة لا تتخلف ولا تتغير عواقبها، فمن أضله الله لأنه استحق الضلال وفق سنة الله، فإن سنة الله لا يهديه، لأن لله سننا تعطي نتائجها. وهكذا شاء. والله فعال لما يشاء. وما لهم من ناصرين ينصرونهم من دون الله. [2]

أساليب تتعلق بسنة الهدى والضلال في القرآن الكريم

الهداية موهبة إلهية، وفضل لا تتأتى إلا من الله فقط، يقول الله – سبحانه– ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللّـهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ

([1]) الشوكاني: محمد بن علي في: فتح القدير ٢/١٢٥

([2]) الظلال ٣/٢١٧١

فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٧٢) [١]، ولذلك يجأر أولو الألباب طالبين الهداية من الله، تقول الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ (الأنعام٧٧) فإسناد الهداية والإضلال إلى الله، من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات، أي أنه أجبر الإنسان على الضلال والهداية.

وحينما نرجع إلى الآيات القرآنية نجد أن المعنى بين واضح، لا لبس فيه ولا غموض فالله يقول﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ (سورة الرعد آية:٢٧)،﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت آية ٦٩) ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ (سورة محمد آية:١٧)

فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل الصالح، وإنما هي ثمرة جهاد للنفس وإنابة إلى الله، واستمساك بإرشاده ووحيه.[٢]

الهدى يخالف الهوى، لأن الهدى من الله، وأما الهوى فمن النفس والشيطان، يقول الله – عز وجل – :﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (البقرة ١٢٠،واقرأ: النمل ٢٤)

---

(١) واقرأ: القصص ٥٦، والأعراف ١٧٨، والزمر ٣٧،البقرة ٢١٣، والشعراء ٧٨

(٢) السيد سابق العقائد الإسلامية/ طبعة للإعلام العربي/ ط١٠/ ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م/ص ٩٢

هدى الله يكون لمن توفرت فيه سائر شروط الهدى، سبحانه وتعالى – يقول:
﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر٢٣)

الله – سبحانه وتعالى – يعطى مقومات الحياة، ثم يعطى الهداية بعد ذلك، وتبين ذلك أكثر من آية فى القرآن الكريم ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (طه ٥٠،واقرأ : الأعلى٣) والله – عز وجل – قد يجعل بعض المخلوقات سبباً موصلاً إلى الهدى، وذلك حتى يعود المسلم أن يأخذ بالأسباب ويوقن أن السبب نفسه لا ينفع ولا يضر بذاته بل بقدرة الله وإرادته، ومن هذه الأسباب: النجوم والنار، ولنقرأ قول الله – تعالى – :
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام ٩٧، واقرأ: طه ١٠، النحل١٥، والأنبياء ٣١)

وعلى ذلك ندرك أن وجود الرسالات غير كاف؛ بل من التجاوب معها ليحصل الهدى، ونقرأ فى ذلك الآيات التالية﴿ وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ (غافر٣٤، واقرأ: إبراهيم ٤، والأنعام ١٥٧)

الصفوة من بنى الإنسان أدركوا هداية الله وعملوا لها، يقول الله – تعالى :﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام ١٦١، واقرأ: إبراهيم١٢)

ضرب المثل لبيان معنى الهداية إلى الحق، والوصول إليها، فالأول كقول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الملك ٢٢)

والثاني كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور٣٥)

ويعرف الهدى أيضاً عن طريق معرفة الضلال وأهله ويتضح ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ (طه٧٩)

أن حقيقة الهدى نور من الله – عز وجل – يقول الله – تعالى –﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزخرف ٤٠)

الثقة التامة بأن الله – سبحانه – هو الهادي، وآيات ذلك:﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ *قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء ٦١،٦٢، واقرأ: الصافات٩٩، والزخرف٢٧)

ومن أضله الله – جل وعلا – فلن تجد له هادياً سواه، وفي ذلك جاء التنبيه منه – سبحانه – في قوله:﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر ٣٦، واقرأ: غافر ٣٣)

ومن محددات الهدى: أن الهداية ليست بالتمني، فالله – عز وجل – ينبهنا إلى ذلك فيقول:﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾(الزخرف٢٩) وأن الهداية تخالف التقليد الأعمى، كما أنها تخالف الفسق، ومخالفتها للتقليد الأعمى يتضح من قول الله – تعالى – ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا

وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الزخرف٢٢)، أما مخالفتها للفسق فتتضح من قول الله – عز وجل – ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد٢٦)

علامات الهدى وقرائنه

للهدى علامات أوضحتها آيات من القرآن الكريم، ومنها: شرح الصدر للإسلام والتسليم، وآية ذلك قول الله – عز وجل –﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر ٢٢،٢٣)

ومن العلامات كذلك : اجتناب الطاغوت، ويبرز ذلك في قول الله – سبحانه– ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (النحل ٣٦)

أما قرائن الهدى، هذه القرائن تساعد – بعد الله – عز وجل – على معرفة الهدى والوصول إليه، ومن هذه القرائن: العلم، فهناك علاقة وثيقة بين العلم والقدرة على الهداية إلى الصراط المستقيم، لكن هذا العلم الذي يوصل إلى الهداية له شروط معروفة عند أهل الشرع، وأبرز هذه الشروط أن يكون موافقاً لشرع الله – عز وجل – ، وأن يقصد بتعلمه وجه الله – سبحانه– أو الوصول إلى حقيقة توصل إلى الهداية، وألا يكون في هذا العلم تعصب لفكر أو مذهب معين، ولا الغرض من هذا العلم التعصب لفكر أو مذهب معين، والدليل على أن العلم قرين الهدى قول الله – تعالى – ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي

مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (مريم٤٣)، كما أنه من قرائن الهدى: التقوى ترشدنا إلى ذلك آية الزمر التي تقول: ﴿ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(الزمر ٥٧)، ومن قرائن الهدى: اللب، فالعقل والهدى توأمان، ولتقرأ قول الله – تعالى – ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر١٨)، ومن القرائن – أيضاً –: الخشية، فالهدى يورث الخشية، واتضح لنا ذلك من قراءتنا لقول الله – سبحانه – ﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات ١٩)

الدعوة إلى الهدى

جاءت الدعوة الصريحة في القرآن الكريم إلى الهدى من خلال العقل والفؤاد في قول الله – سبحانه – ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان ٣)، كما جاءت الدعوة من خلال الصيام والقرآن في الآية الكريمة:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة١٨٥)، والدعوة الصريحة إلى الهدى أيضاً جاءت من خلال الكتب والرسل، يتضح لنا ذلك حينما نقرأ قول الله – سبحانه – ﴿ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام ١٧٥، واقرأ: الأعراف ٢،٣،٥٢، والجن٢،١)



محتويات الهدى والضلال

تتعدد محتويات الهداية الإلهية، فمنها: الدعوة إلى الحق، وذلك مصداقاً لقول الله – عز وجل – ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (يونس٣٥) ومنها: بيان سنن الأولين، مصداقاً لقول الله – سبحانه –﴿ يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(النساء٢٦) ، ومن المحتويات كذلك : الدعوة إلى دار السلام، ويبرز ذلك في قول الله – جلا وعلا – ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (يونس٩،واقرأ آية ٢٥ من نفس السورة) ، وسبل السلام هي التي توصل إلى إدراك السنن الإلهية، قال الله – تعالى –
﴿ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة١٦)

إدراك سنة الله في الهدى يحتاج إلى تدبر وتفكر، يدلنا على ذلك أكثر من آية في القرآن منها قول الله – سبحانه –: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ (الأعراف ١٠٠، واقرأ: طه ١٢٨، والسجدة ٢٦، والبقرة٧٠)

نماذج يقتدى بها

على أن في القرآن الكريم نماذج يقتدى بها في الاجتهاد للوصول إلى الهدى، يقول الله – سبحانه – : ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام٩٠، واقرأ الآيات التي قبلها)

كما أن هناك نماذج أخرى عرفت باجتهادها بكثرة السجود لله والخشوع فيه، يقول الله – سبحانه – ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (مريم ٥٨، واقرأ: الصافات١١٨)

فعلى المسلم أن يقتدى بهذه النماذج ويجعلها له نبراساً، ويتشبه بها،

ورحم الله شاعرنا العربي الذى يقول:

تشبهوا بالرجال إن لم تكونوا منهم   إن التشـــبه بالرجـــال فـــلاح

الفصل الثالث

أنواع الهدى والضلال وأسبابهما

المبحث الأول: أنواع الهدى والضلال

أولاً : أنواع الهداية

وردت الهداية في القرآن الكريم على أنواع أربعة هي:

"النوع الأول: الهداية العامة،وهي هداية كل مخلوق من الحيوان والآدمي لمصالحه التي بها قام أمْرُه: قال تعالى:﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۔ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى۔ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (سورة الأعلى ٣،٢،١) . قدر له مصالحه في معاشه وتقلباته وتصرفاته وهداه إليها والهداية تعليم، وقال تعالى حكاية عن عدوه فرعون أنه قال لموسي: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى {٤٩} قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (سورة طه ٥٠،٤٩) وهذا النوع أسبق أنواع الهداية وأعمها.

النوع الثاني: هداية البيان والتعريف لنجدى الخير والشر،وطريقي النجاة والهلاك وهي الدلالة التي أقام بها حجته على عباده، وهذه لا تستلزم الاهتداء التام، قال تعالى:﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة فصلت١٧) يعني بينا لهم ودللناهم وعرفناهم، فآثروا الضلالة والعمي، وقال تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ۔ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ۔ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد١٠،٩،٨)

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، هذه هي الهداية الموجبة المستلزمة للاهتداء، وتَخَلُّف الهدى عنها مستحيل.

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة يونس ٢٥). فعم بالدعوة خلقه، وخص بالهداية من شاء منهم. وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (سورة القصص٥٦) مع قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة الشورى٥٢) فأثبتت هداية الدعوة والبيان، ونفى هداية التوفيق والإلهام، قال تعالى: ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (النحل ٣٧)

النوع الرابع: الهداية في الآخرة إلى طريق الجنة والنار، قال الله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (سورة الصافات ٢٣، ٢٢)

وأما قول أهل الجنة: ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (سورة الأعراف٤٣).

فيُحتمل أن يكونوا أرادوا الهداية إلى طريق الجنة، فأرادوا الهداية في الدنيا التي أوصلتهم إلى دار النعيم، ولو قيل: إن كلا الأمرين مراد لهم كان أحسن وأبلغ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (يونس٩) .أ.هـ.[1]

وهذه الهدايات الأربع مترتبة؛ فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثلاث التي قبلها، ومن حصل

---

(1) ابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، في: بدائع الفوائد ٢/٢٧١/٢٧٢(بتصرف) تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ط/مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، ط/ أولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، وانظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل١/٦٥

له الثالث فقد حصل له اللذان قبله، ثم ينعكس، فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث، والإنسان لا يقدر أن يهدي أحدا إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات، وإلى الأول أشار بقوله:
﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى/٥٢)، ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة/٢٤،واقرأ: الرعد/٧) أي: داع، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص/٥٦) وكل هداية ذكر الله عز وجل أنه منع الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة، وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة، وإدخال الجنة.
نحو قوله – عز وجل– : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران) وكقوله:
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (النحل/١٠٧)[1]

<u>ثانياً : أنواع الضلال</u>

إضلال الله للإنسان على وجهين :

أحدهما : أن يكون سببه، وهو أن يضل الإنسان فيحكم الله عليه بذلك في الدنيا، ويعدل به عن طريق الجنة إلى النار في الآخرة.

الثاني: من إضلال الله: وهو أن الله تعالى وضع جبلة الإنسان على هيئة إذا راعى طريقا محمودا كان أو مذموما ألفة واستطابه، وتعسر عليه صرفه

---

(١) الراغب في : مفردات ألفاظ القرآن ٢/٦٥٥،٦٥٦

وانصـرافه عنـه. [١] والمقصـود بإضـلال الله للعبـد: خذلانـه وعـدم توفيقـه وإعانته، وعدم خلق المشيئة الملتزمة لهدايته. [٢] والله سبحانه وتعالى يجعـل ذلك في عباده، ويخلقه فيهم بأسباب تكون من قلبهم، فهـم إذا سـدوا علـى أنفسهم باب الهدى إرادة منهم واختيار، سده عليهم اضطرارا فخلاهـم ومـا اختاروا لأنفسهم وولاهم ما تولوا، فيكون ذلك عقوبة لهم، كما يعاقبهم فـى الآخرة بدخول النار. [٣]وما يفعله الله عـز وجـل مـن إضـلالهم يتحقـق بقطـع توفيقه عنهم، ولم يرد من نفسه إعانتهم والإقبال بقلوبهم إليـه، فلـم يحـل بينهم وبين ما هو مقدور بينهم لهم من الاختيار وفعل الأسباب، وإنما حال بينهم وبين ما لم يقدرون عليه، وهو فعله ومشيئته وتوفيقه. [٤]

ومن رحمة الله بعباده، أن مـا يفعلـه الله عـز وجـل مـن إضـلال بعـض عبـاده بالطبع والغشاوة والختم وغير ذلك، لا يفعله العبـد لأول وهلـة حـين يـأمره بالإيمان وبينه له، وإنما يفعله به بعد تكرار الدعوة منه سبحان التأكيد فى البيان والإرشاد وتكرار الإعـراض منـه والمبالغـة بـالكفر والعنـاد، وحينئـذ يطبع الله على قلوب هؤلاء العباد ويختم عليها فلا تقبـل الهـدى بعـد ذلـك، والإعراض والكفر الأول لم يكن معه ختم وطبع، بل كان اختيارا، فلما تكرر منهم صار طبيعة وسجية.

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٤٨٤/٣، وأنظر شفاء العليل ١٩٦/١٧٣

(٢) انظر شفاء العليل ١٧٣، وتفسير الطبري ١٧٦/١٣

(٣) شفاء العليل ١٨٦، ٢٠٩(بتصرف)

(٤) المصدر السابق ١٧٣ (بتصرف)

فتأمل هذا المعنى فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة ٦-٨)

ولكن هذا العقاب بالختم والقفل، والطبع وغيره، قد يكون لفترة مؤقته... ثم يزول، فلا يمتنع مع الطبع والختم والقفل وغير ذلك من فعل الله عز وجل من حصول الإيمان بأن يفك ذلك الذى ختم به على القلب وطبع عليه وضرب عليه القفل، ذلك الختم والطابع والقفل، يهديه بعد ضلاله، ويعلمه بعد جهله، ويرشده بعد غيه، ويفتح قفل قلبه بمفاتيح توفيقه التى هى بيده، حتى لو كتب علي جبينه الشقاوة والكفر لم يمتنع أن يمحوها ويكتب عليه السعادة والإيمان.... وكان عمر يقول فى دعائه (اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبني سعيداً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت) ، فالرب – سبحانه تعالى – فعال لما يريد لا حجر عليه.

وكما كانت الهداية، هداية إلى الصراط وهداية فيه، فكذلك الإضلال ، إضلال عن الصراط فلا يهتدى إليه وضلال فيه، فالأول إضلال عن معرفته.
والثانى عن تفاصيله أو بعضها [1]

---

(1) المصدر السابق ١٩٦ (بتصرف)

المبحث الثانى

أسباب الهداية والضلال

أسباب الهداية:

وحتى نصل إلى الهداية من الله – عز وجل – لابد أن نتعرف على أسبابها علنا نفعل هذه السنة ونتحققها في أنفسنا، وندخل فيمن كتبت لهم الهداية من الله – سبحانه – وللهداية أسباب كثيرة فمنها:

أولاً: العلم بالله– تعالى – وأسمائه وصفاته، فمن أراد الهداية فلا بد أن يكون عالماً بالله وأسمائه وصفاته: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد:١٩) وأن يعلم حق الرب على عبده وهو : أن يعبده لا يشرك به شيئاً.

ثانياً: الإيمان والاعتصام بالله، فهو من أعظم أسباب الهداية، والإيمان الذى هو الاعتقاد والتصديق بالجنان، والنطق باللسان، والعمل بالأركان، الذى يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، وقال الله – عز وجل–: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن:١١)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ (يونس:٩) فالإيمان من أعظم أسباب الهداية، ولذا قال على لسان خليله إبراهيم: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (سورة الأنعام:٨٢) . فهذا وعد بالهداية لأهل الإيمان.

قال – عز وجل–: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾(الكهف١٣)

إنها قضية مهمة كثيرا ما يشير إليها القرآن وقد نغفل عنها ألا وهى: أن الإيمان والعمل الصالح سبب للهداية والتوفيق، كما قال – تبارك وتعالى –

في آية أخرى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (سورة النساء١٧٥)

ثالثا: امتثال أوامر الله واجتناب نواهية: قال – عز وجل– : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا {٦٦} وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّـا أَجْـراً عَظِيمًا {٦٧} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (سورة النساء ٦٨، ٦٧، ٦٦)

وإذا كانت الذنوب لسوء الخاتمة، وللطبع على القلوب، كان تركها سبباً للهداية، وأشد في الثبات على دين الله. فالمحافظة على الصلاة – مثلاً – وإقامتها كما أمر الله، مما أمر به المسلم، ثم هي سبب في الابتعاد عن الفواحش والمنكرات: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (سورة العنكبوت٤٥). وبها يستعين العبد على الصبر على ما ينوبه في الحياة، وبها يستعين العبد على الشدائد: ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (سورة البقرة٤٥) والأعمال الصالحة عموماً مما يُقرِّب إلى علام الغيوب.

وقال جلّ ذكره في وصف كتابه: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة المائدة ١٦).

رابعاً: الدعاء بمعنى سؤال الله – تبارك وتعالى – الهداية: وأعتقد أنه لاغنى لكل مسلم عن ذلك ومن كانت حياته مليئة بالذنوب والمعاصي، فحاجته إلى الهداية شديدة ومُلحّة، والرسول - ﷺ- كان يسأل ربه الهداية

ويقول فيما صح عنه : (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغـنى) [1]

كما كان -ﷺ يقول في دعائه فيما صحّ عنـه: (اللـهم إنـي أعـوذ بـك مـن... والحور بعد الكور) [2] يعني الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو مـن الطاعـة إلى المعصية.

وهو العبادة ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر:٦٠) ونحن نقول فـي الصـلاة :﴿ اهدِنَـــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾ (الفاتحـة:٦) دلنـا علـى الصـراط المسـتقيم، وفقنـا لطريقة الشرع وزدنا هدى.

خامسـاً : التوبـة والإنابـة إلى الله – عـز وجـل-، وفي ذلـك يقـول الله – عـز وجل-: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ (الرعد :٢٧) وقال تعالى : ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْـهِ مَن يَشَـاء وَيَهْـدِي إِلَيْـهِ مَـن يُنِيـبُ ﴾ (الشـورى١٣) فـإذا أنـاب العبـد هـداه الله – سبحانه وتعالى -.

سادساً : المجاهدة

والمجاهدة أنواع: فمجاهدة النفس، ومجاهدة الشيطان، وجهـاد أعـداء الله، فأما مجاهدة النفس فهي أنواع ، ومنها: مجاهدة النفس على تعلـم الهـدى، ومجاهدة النفس علـى العمـل بـالعلم ، ومجاهـدة الـنفس علـى الـدعوة لهـذا

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه برقم: ٦٨٤٢ك: الـدعوات الـذكر والـدعاء، بـاب: التعـوذ من شـر مـا لم يعمل، الترمذي: محمد بن عيسى الترمزي السلمي أبو عيسى ٢٠٩- ٢٧٩هـ في: الجامع الصحيح بـرقم ٣٤٨٩ك: الـدعوات عـن رسـول الله – ﷺ- (وقـال هـذا حـديث حسـن صـحيح) وأحمـد فـي مسـنده برقم٣٦٨٤ك: مسند عبد الله بن مسعود، باب: مسند عبد الله بن مسعود

(2)أخرجه الترمذى فى سننه بتم ٣٤٣٩ك: الدعوات عن رسـول الله -ﷺ- بـاب : مـا يقـول إذا خـرج مسافراً (وقال هذا حديث صحيح) ، وأحمد بن حنبل فى مسنده برقم: ٢٠٢٤٨ك: حديث عبد الله بـن سرجس، باب: حديث عبد الله بن سرجس

العلم، ومجاهدتها على الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – فالنفس أمارة بالسوء، ومن طبعها أنها تأبى الالتزام ن بل تميل إلى الانطلاق ، فمن يجاهد نفسه حتى تعتاد الطاعة وتألفها ، فهو أفضل دواء للرقي بها ، حتى يجعلها نفساً لوامة، ثم نفساً مطمئنة، فعلى المسلم أن يكابد نفسه ، ويكرهها على سلوك طريق الخير، ويعلمها أن الجنة مُغطّاة بحُجُب كلها مكاره، والوصول إليها مرهون بتحمل المكاره ، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩)

وأما مجاهدة الشيطان فإنها تكون بأمرين: مجاهدة الشبهات التي يلقيها في نفس العبد، ومجاهدته على الشهوات التي يلقيها ويثيرها في النفس.

سابعاً: الصحبة الصالحة، قال الله – عز وجل – : ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ (الأنعام: ٧١)

وقال – أيضاً – ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾ (النجم٣٠،٢٩)

ومن كلام الحكماء في الصحبة الصالحة: ؛؛ صديق مساعد عضد وساعد؛؛،؛؛ رب صديق أود من شقيق ؛؛،؛؛ الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك ؛؛،؛؛ من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان؛؛ [1]

ثامنا: الحرص على كتاب الله: تلاوة وحفظاً وتدبراً وفهماً، فبه ينشرح الصدر، ويستنير القلب، وتسمو الروح،بقدر الاهتمام بالقرآن العظيم، تكون

---

(١) الماوردي: في أدب الدين والدنيا ص١٥٥– ١٥٨(بتصرف واختصار) ط/المطبعة الأميرية ببولاق/ القاهرة، ط/١٣٢٤/٤هـ ١٩٠٦م

الاستقامة، قال تعالى لنبيه -ﷺ-: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف:٤٣)

تاسعاً: المداومة على ذكر الله تعالى: فهو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها ، بل هو من أحسن ما يربّي به المسلم نفسه على مراقبة الله تعالى، فتُقلع عن السيئات، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال : من الآية٢) وقال تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(الرعد : من الآية٢)

وغير ذلك من الأسباب، ومنها على سبيل الإجمال:

الخشية لله – عز وجل – والإخلاص في الالتزام بالطاعة والبعد عن المعصية، والبراء من الكافرين، والخوف من سوء العاقبة، وتذكر الموت والحساب والدار الآخرة.

وبالجملة فأسباب الهداية سلبية وإيجابية، أما السلبية فهي البعد عن أسباب الضلال ، وأما الايجابية فهي الإقبال على هدى الله، واستعمال النعم والمواهب في التفكير في آيات الله... إلى غير ذلك من الأسباب التي ذكرناها.

أسباب الضلال:

وحتى ننأى بأنفسنا عن الضلال لا بد أن نتعرف على أسبابه ، وللضلال أسباب منها:

عدم استخدام الحواس في النظر والتفكر

وذالك بأن لا يوجه الإنسان ما وهبه الله تعالى من نعم السمع والبصر والعقل إلى النظر والتفكر في آيات الله الدالة على وجوده وصدق أنبيائه عليهم الصلاة

والسلام سواء كانت آيات سمعية أو كونية فإنه إذا أعرض عن النظر أو الاستماع والفكر يكون قد أغلق على نفسه منافذ الهدى فأسلمه ذلك إلى الضلال قال الله – تعالى – : ﴿ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ۝ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ۝ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة١٦ ، ١٧ ، ١٨)

فهم صم لا يسمعون الحق سماع اعتبار وتفهم ، بكم القلوب لا ينطق بالإيمان عن اعتقاد أو علم، وعمى لا ينظرون إلى آيات الله فى أنفسهم وفى الآفاق حتى يتبين لهم الحق.[١]

فقد شبه الله عز وجل الكفار فى عدم فقهم وانتفاعهم بالغنم التى ينعق بها الراعي، فلا تفقه فى قوله شيئاً غير الصوت المجرد، الذي هو دعاء والنداء، وهناك وجه آخر للتشبيه وهو أن الذين كفروا بمنزلة البهائم ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمنزلة الذى ينعق بها، ودعاؤهم إلى الهدى بمنزلة النعق، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق.[٢]

السبب الثاني : الذنوب والمعاصي

إن من أسباب الضلال حسب سنته – سبحانه وتعالى – ارتكاب الذنوب والمعاصى، وذلك أن الذنوب سبب فى صدأ القلب، وتكوّن الران عليه، الذى يمنع من دخول الإيمان إلى قلب صاحبه، وفى ذلك يقول رسول الله–ﷺ– (إن

---

(١) انظر شفاء العليل ص١٩٩، ٢٠٦.

(٢) أعلام الموقعين ١٨٣/١ (بتصرف يسير)

العبد إذا أخطا خطيئه نكتت في قلبه نكته سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله)[1]

وقال عليه الصلاة والسلام :" تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكته بيضاء حتى تصير على قلبين مثل الصفا[2] فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مربادا، الربدة هي لون يخلطها سواد كلون النعامة، :كالكوز مجخيا، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه.."[3]

السبب الثالث: الظن

والظن الذى هو سبب الضلال هو الظن المحرم وهو القول بغير علم ، وأما لو كان الظن راجحاً فهو نوع من العلم، وكذا إذا كان ظنا بمعنى اليقين فهو ليس ضلال.

والظن المحرم، وهو الذى ليس علم يقين ولا علم راجح وإنما هو قول بغير علم، وهو الذى نصت عليه الآيات والأحاديث أنه ضلال ، وأنه كان سبب

---

(1) أخرجه الترمذى كتاب التفسير باب ٧٥ (سورة ويل للمطففين ٥/٤٣٤ تحقيق إبراهيم عطوة عوض، وقال: حديث حسن صحيح واللفظ له ، ابن ماجه كتاب الزهد باب ٢٩ذكر الذنوب من حديث أبي هريرة ٢/٤٣٧ تحقيق محمد مصطفي الأعظمى – طبعة باكتسان، ومسند أحمد ٢/٢٩٧.

(2) الصفا قال القاضي عياض رحمه اله ليس تشبيه بالصفا بينا لبياضه، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته عن الخلل، وأن الفتن تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفاء، وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شئ. صحيح مسلم بشرح النووي ٢/١٧٢

(3) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين١/١٢٨–١٢٩

ضلال أكثر الأولين والآخرين ، وأنـه أكـذب الحـديث وأن عاقبـة مـن اتبعـه الخلود في النار.

فها هو فرعون الطاغية الأكبر كان الظن سبب ضـلاله هـو وقومـه ، بـل كـان سبب تكذيبهم بالبعث، قال تعالى :﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ۝وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص:٣٨، ٣٩، واقرأ: هود :٢٦، ٢٧، والشعراء: ١٨٥، ١٨٦) وغيرهم ممن كذبوا رسلهم ، وقال تعالى عن كفار قريش: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ (الجاثية:٣٢) بل كان المشركين متبعون للظن ، قال تعالى:﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ (يونس:٦٦) (الأنعام:١١٦)

فقد وضح الله أن الظن ضلال وأنه يقوم بشئ من الحق، وقد جعل الله الظن نقيض الهدى، حيث قال"﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ (النجم:٢٣ ، ٢٨)

ولقد كان الظن سبب ضلال الجن والإنس، قال تعالى حكاية عن ذلك بقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا۝وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا۝وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (الجن:٥، ٧) فظنوا أن ما هم عليه من عبادة وجدوا عليها آباءهم لا يمكن أن تكون كذباً على الله، إذ هي منسوبة إلى الله تعالى،.

وتقرأ الآيات التى توضح عاقبة متبعي الظن، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ.فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا.وَيَصْلَى سَعِيرًا.إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا.إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ (الانشقاق: ١٠– ١٤)

الرابع: التقليد

إن التقليد الذى هو سبب الضلال هو اتباع أي واحد فى الدين غير الرسولﷺ بغير برهان، وذلك حكم الله فى التقليد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٠) فقد بين الله بهذه الآية وأمثالها آيات كثيرة[1] أن سبب ضلالهم اتباع آبائهم بغير حجة ، ليس آباؤهم حجة، إلا أنهم قالوا– ظنا منهم– أنهم أفهم منهم وأعلم ، فهم وجدوهم على دين فظنوا أن الله أراده منهم، فصاروا لا يحيطون بأى علم ، كيف وقد وضعوا أنفسهم فى مرتبة حقيرة – مرتبة التقليد – فحقروا أنفسهم وعقولهم .

وهذا هو شأن الأمم ، فما من أمة تضل بعد نبيها إلا ونسبت ذلك الضلال إليه ، كما قال – تعالى–: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٨)

بل نجد أن الله قد قصر الاتباع على ما أنزل، حيث قال: ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣) فقد أمرنا الله باتباع ما أنزل ونهانا عن غيره ، ولم ينزل الله التقليد بأى صورة من صوره، فمن اتبع غير ما أنزل الله فقد اتبع ما نهى الله عنه. (اقرأ: الأعراف: ٣٣، والإسراء: ٣٦)

---

[1] اقرأ: المائدة: ١٠٤، لقمان : ٢١ ، الزخرف: ٢١–٢٤

ونستوضح عاقبة المقلد دون وعي في قول الله – سبحانه – ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ {١٦٦} وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (البقرة: ١٦٦، ١٦٧)

الخامس: اتباع الهوى

اتباع الهوى المحرم، هو مخالفة أمر الله ورسوله مع العلم ، قال – جل ذكره – ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٠) فكل من لم يستجب للرسول – ﷺ – في كل أمر ويجتنب كل نهي، لأنه لا فرق بين أمر وأمر ولا بين نهي ونهي، فإنما هو كما علمنا الله متبع هواه، فهذا تعريف اتباع الهوى، وحكم الله فيمن اتبع هواه أنه أضل الخلق وأظلمهم وليس هناك من هو أضل منه، وقد خاطب الله نبياً من أنبيائه فقال: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (سورة ص: ٢٦) فقد بين الله أن مخالفة الحق اتباع للهوى، وأن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله، ثم أخبرنا عن عاقبة متبع هواه أن له العذاب الشديد ، وسمي متبع الهوى المخالف للحق ناسياً ليوم الحساب

وقد سمى الله متبع هواه مشرك ، حيث قال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية٢٣ ، واقرأ : النجم: ٢٣)

وهذا مثال قصه الله لنا فى متبع الهوى بعد أن آتاه الله الآيات يقصه لنا لنتفكر، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ۝وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ۝سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧٥-١٧٧)

فكل من علم الحق فقد آتاه الله آياته، فإذا خالف ما آتاه الله فقد انسلخ عما آتاه الله وكان من أتباع الشيطان الغاوين.

ونستوضح ضلال متبعي أهوائهم في أكثر من موضع في القرآن ، قال – تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: ١١٩) فإذا أردنا العصمة من الضلال فلا بد من اجتناب الهوى لتكون الجنة هي المأوى،قال – سبحانه وتعالى – ﴿ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (النازعات: ٤١،٤٠)

السادس: طاعة العصاة والمسرفين، وطاعة النفس والشيطان

فهذه طاعات غير مشروعة، وهي دائما تجر صاحبها إلى الضلال والهلاك، ويتضح ذلك من قول الله – تعالى- ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا {٦٦} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ (الأحزاب ٦٦، ٦٧)[1]

ويشير صاحب (العقائد الإسلامية) إلى بعض الأسباب فيقول:

---

(١) الطاعة وأثرها فى ضوء القرآن الكريم (بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر، عدد٢٣ لسنة ٢٠٠٥م) د/شعبان رمضان محمود مقلد

ويقول القرآن الكريم في الإضلال: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ.الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّـهُ بِـهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة البقرة ٢٦، ٢٧)

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّـهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء ﴾ (سورة ابراهيم آية:٢٧)﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (سورة غافر آية"٣٥)، [1] فنرى من هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيغ، والخروج عن تعاليم الله . والكبر، والجبروت، والتعالى على الناس بغير حق، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع، والفساد في الأرض، والكفر واقتراف الاثام:

فهذه هي الأسباب التي أضلت الناس، وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى، واستحبوا الظلام على النور، فكان أن كافئهم الله فأصمهم، وأعمى أبصارهم، بمقتضى نظامه في ارتباط الأسباب بمسبباتها.

وهذا ونحوه كثير في كتاب الله، ومنه: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (سورة الأعراف آية :١٧٩)

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والعرفان ، وعطلوها عما خلقت له، فلم يصل إليها نور الحق. فقلوبهم غلف لا تعقل عن الله وحيه، وعيونهم عمى لا ترى الله فى ملكوته، وآذانهم صم لا تسمع آيات الله ، فهم مثل الأنعام التى لا تنتفع

---

(١) واقرأ: سورة الصف آية: ٥، وسورة المطففين آية: ١٤، وسورة النساء آية : ١٥٥

بحواسها الظاهرة والباطنة، بل أضل من الأنعام إذ الأنعام لم تزود بما زود به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية.[١]

وغير ذلك من الأسباب مثل : اتباع الشيطان ومداخله، والجدال في آيات الله بغير علم، والجحود والشك، والكبر وحب الدنيا، والاستهزاء بآيات الله والمؤمنين، وصحبة السوء، والتشبيه بالضالين، والابتداع في الدين...

وغيرها من كل ما يبعد عن منهج الله – عز وجل – فإذا أردنا الهدى فلا بد أن نتجنب أسباب الضلال ، ولا نتمسك إلا بالكتاب والسنة الصحيحة نعض عليهما بالنواجذ، علنا ننجو من الهلاك.

<u>معوقات الهداية</u>

وقد يكون هناك معوقات تعوق الإنسان عن الوصول إلى طريق الهداية، وهنا يظهر الذي يود الانخراط في طريق الهداية من غيره ، ومن المعوقات:

تكرار الوقوع في المعصية فبعض الناس يقول في نفسه: أنا أعصي الله في كذا ثم أتوب، ثم أعود إلى المعصية ، ثم أتوب، فيقول: كيف يقبل مني بهذا التردد؛ وفي الحقيقة الذي يوسوس له بذلك هو الشيطان، ويرجع إلى الضلال وقد يستمر فيه .

ونحاول أن نأخذ بيد هذا المسلم شيئاً فشيئاً ، نقول له: يا هذا! لا شك أنك عند رجوعك عن الباطل، وإن كان لفترة مؤقته فإنك أفضل من الذى يستمر عليه دائماً! ثم إن الازدواجية التي وقعت فيها ينبغي أن تدفعك إلى الثبات على الحال الحسن، واختيار الخير، وليس أن ترجع تستقر على الحال

---

(١) السيد سابق العقائد الإسلامية/ طبعة الفتح للإعلام العربي/ ط١٠/١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م/ ص٩٣، ٩٤

السئ، ثم إن الإنسان إذا وقع فى معصية فإن ذلك لا يعنى أن يترك بقية الطاعات، بل الأولى به أن يرجع إلى الله ويتوب إليه ويكثر من الطاعات﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (١١٤ هود)، لا أن يتبع إغواء الشيطان ويتمادى فى المعصية.

القنوط من رحمة الله

فبعض الناس يظن أن الله لا يمكن أن يغفر له، وأن ذنوبه كثير جداً، ومن كثرت سيئاته فكيف يغفر الله له، وهذا باطل، لأنه جهل بعفو الله، ولكن الله — عز وجل– يقول: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الزمر٥٣) بل ينبغى أن يتوب إلى الله ويقبل على الله ما دام لا يشرك بالله شيئاً: (لو اتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً، لأتيتك بقرابها مغفرة). [1]

الاحتجاج بالمشيئة

وهذا الذى نسمعه من كثير من الناس، يقولون: لو شاء الله لهدانا، وهؤلاء قد سبقهم الكفار بمثل هذا المنطق فاحتجوا بالمشيئة، فقال الله عنهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم ﴾ (الزخرف٢٠) لو شاء الرحمن ما عبدنا هؤلاء وأشركنا بالله، قال — عز وجل– فى آية أخرى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ (الأنعام:١٤٨). احتج المشركون بالمشيئة، لكن الله — عز وجل — كذبهم، وقال فى آية الأنعام :﴿ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ (الأنعام : ١٤٨) وقال فى آية الزخرف: ﴿ مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

([1]) سنن الترمذي برقم ٣٥٤٠، ك: الدعوات عن رسول الله — ﷺ — باب: فى فضل التوبة والاستغفار، ومسند أحمد برقم ٢٠٦٩١، ٢٠٩٩٤، ك: حديث أبي ذر الغفاري، باب حديث أبى ذر الغفارى.

(الزخرف : ٢٠). فنقول لهم: حقيقة الأمر أن الله علم عنكم مسبقاً أنكم بعد تكليفكم ستختارون الكفر أو الضلال ومن هنا جاءت مشيئة الله – عز وجل – إذن فمشيئة الله سبقها علمه المسبق عن اختياركم ولن تكون هي السبب في اختياركم الكفر والضلال. ، فالله قد أرسل الرسل وأنزل الكتب، وبين طريق الخير والشر، حيث قال: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد : ١٠) وهذا الفاسق الذي يفعل ما يفعله مختاراً ليس مجبوراً، طائعاً غير مكره هو الذى اختار فعل الشر بإرادته وقدرته التى اعطاه الله إياها ، فلا يصح بعد ذلك لإنسان أن يقول: أنا مجبور! أو يحتج بمشيئة الله عليه.

النظرة الخاطئة للالتزام

فالاعتقاد أن جو الهداية شدة وتزمت ووسوسة ورهبنه وحرمان وتحريم الضحك ، ونحو ذلك من تلبيس الشيطان فهذا خطأ؛ لأن جو الهداية على عكس ذلك، إنما هو اطمئنان وسكون وسرور وحبور، وفرح نفسي وطمأنينة يقذفها الله فى قلوب المهتدين ما داموا مخلصين، ويحصل فى قلوبهم من أنواع السرور ما يحمد به العبد ربه على نعمة الهداية، وليست الهداية تحريماً للطيبات، فإن الله قد قال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف٣٢)

تسويف التوبة والرجوع إلى الله

بعض الناس يخطر فى باله خاطر الهداية ، يأتيه الخاطر أن يتوب ويهتدى، ويترك ما هو فيه من الباطل، – حسب فطرة الله التى فطر الناس عليها – فتجده يسوف قائلا: سوف أفعل ذلك – إن شاء الله – فى المستقبل

سوف أفعل ذلك، وهذا التسويف لا تعرف نهايته، فقد توافيه المنية قبل ذلك ، ثم بعدها: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ.أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزمر٥٦، ٥٧)

<u>ربط الالتزام بأمور أخرى</u>

هناك فئة من الناس تربط الأمور بعضها ببعض ، وترتب الأشياء بعضها على بعض، وهذا من حيل الشيطان، فالتوبة تفتح للمسلم صفحة جديدة، وليس بشرط أن ينتظر شيئاً معيناً ، وما يدريه فقد تأتيه المنية قبل أن يتحقق له ما ينتظره، فما عساه أن يقول حينذاك؟

الاحتجاج بواقع بعض الملتزمين

ومن عوائق الهداية أيضاً: الاحتجاج بواقع بعض الناس الذين ظاهرهم الالتزام، لكونهم عندهم معاص وإساءات، فيقول لك: انظر هذا فلان ، لحيته هذا طولها، ومع ذلك رأيته بفعل كذا أو أن علاقة ملتزمة في الظاهر فقط لكنها تفعل كذا وتقول له قي ذلك أننا أمرنا أن نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر، فإذا كان ظاهرهم الطاعة فلا علينا بشئ آخر، ثم هل هذه حجة أمام الله تحتج بها يوم القيامة؟ إذا سألك: لماذا لم تسلك سبيل الاستقامة والهداية قلت: فلان هذا ظاهر الهداية، لكن فى الحقيقة عنده أمور أخرى؟! والمجتمع المسلم قد يكون فيه العديد من المنافقين، فهل هم حجة؟ المسلم الحق عليه دائماً أن يكون مع القرآن والسنة يدور معهما حيثما دارا، ولا عليه من تصرفات الناس وأخطائهم؛ أخطاء الناس ليست بحجة على الشريعة، بل الشريعة هى الحجة على الناس ، فالمسلم لا يكن إمعة، وعليه أن يعرف الرجال بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال.

اعتقاد حسن النية فيه الكفاية

ومن المعوقات: اعتقاد الاكتفاء بحسن النية، وأن الأعمال لا داعي لها ما دام أن القلب طيبٌ وسليم، فنقول: هذا زعمٌ فاسد، الله – عز وجل – قال لأهل الجنة: ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل٣٢) فالأعمال سبب لرضا الله ودخول الجنة، فإذا لم تعمل، فبأي شيءٍ تدخل الجنة، والله – عز وجل – مدح الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فإذا لم تعمل الصالحات، فبأى شيءٍ تنجو يوم القيامة؟! ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ (البروج :١١)

والعمل الصالح سبب للهداية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ (يونس:٩).. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (مريم٩٦). وكثير من الآيات التى تبين أن الفوز والنجاة سببه الإيمان والعمل الصالح، فالإيمان قولٌ وعمل، أما الضلال هم الذين يقولون الإيمان هو: الاعتقاد بالقلب والتصديق فقط.

النظر إلى من هو دونه في الالتزام

وكيفية ذلك حديث النفس للمسلم بأن حاله أفضل من حال غيره، ونقول له: إن هذا مفهوم خاطئ وهذه نظرة منحرفة، فالمسلم ينظر إلى من هو فوقه فى الدين ولا ينظر إلى من هو دونه، ثم إن الله قد جعل لنا الرسول قدوة نقتدى به وأمرنا باتباعه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب٢١) ، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١).. ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام٩٠). لكن متى تنظر إلى من هو دونك؟ فيأمور الدنيا، كما

قال النبى -ﷺ- : (انظروا إلى من هو أسفل منكم فى أمور الدنيا، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم). [1]

فعلى المسلم أن ينظر إلى من هو دونه فى الدنيا، فيحمد الله على نعمه ، لكن فى الدين ينظر إلى من هو فوقه وأكثر طاعة منه، : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين من الآية ٢٦)

<u>النظر إلى الدنيا والاغترار بها</u>

فمن هواة المكاسب والمغانم الدنيوية من يعملون فى أعمال محرمة باسم الفن، أو السياحة أو غيرها ، وأكثر هؤلاء يشاركون فى المحرمات كالفواحش والخمور، ونحو ذلك من الأعمال المحرمة، فإذا جاءه خاطر الهداية، قال: الآن لو اهتديت، وجب على ترك العمل؛ لأنه محرم يتناقض مع الهداية ، فإذا أغلقت أو تركت العمل ضاع المال وضاعت المكانة، أو فاتنى الجاه والمنصب، وإذا كان موظفاً صغيراً يخاف ضياع العمل والمرتب.

وردود هؤلاء تشبه رد أب نواس الشاعر الخليع على أبى العتاهية حينما نصحه فى الله فقال له:

أترانى يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي

أترانى مفسداً بالنسك عند القوم جاهي

---

(1) رواه مسلم فى صحيحه برقم ٧٣٥٦ك: الزهد والرقائق ، باب : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، والترمذى برقم ٢٥٣١ك: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: صفة القيامة والرقائق والورع ، وأحمد فى مسنده برقم ٢٧٤٠٠ك: مسند أبي هريرة ، باب: مسند أبي هريرة

تريدني أن أصبح متنسكاً فأفسد جاهي عند القوم ، وكأنه لم يقرأ قول الله — عز وجل-: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا {٢} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢-٣).

فاترك أخي الكريم ما أنت فيه من الأعمال المحرمة مهما كانت تدر عليك من ربح، مرضاة لله يعوضك الله خيراً منها.

حب التحرر وعدم التقليد

فبعض الناس يظن أن الهداية تقييدات وكبت للحريات ، وهذا الظن موجود عند الفتيات، بأن الالتزام كبتٌ لحريتها، وتركٌ للزينة والخروج إلى الملاهي والبعد عن الأصدقاء وغير ذلك ، يظن ذلك بعض الناس يقولون : هذا تقييد، هذه قيود لا لا نريدها ، ونصائح النساء والأقارب، نسافر إلى بلاد التحضر، ونسيح في الأرض، نسمع ما نشاء، نرى ما يحلو لنا ، لا نريد لأنفسنا التقيد والكبت، وليعلم من يفكر بهذه الطريقة إنه إن يكن عبداً لله خيرٌ من أن يكون عبداً لشهواته، هذه شهوات زائلة، وحرية النفس يجب أن تكون مضبوطة بما ينفعها بعيدة عما يهلكها، وهذه المحرمات إذا فتشت عنها فستجد في عواقبها الهلكة، ومنها تأتي الكوارث على بني البشر، وإذا أردت الجنة فاعلم أنها قد حفت بالمكاره، ومن قيد نفسه بالشريعة بالدنيا، كافأة الله بالحرية يوم القيامة، ومن كان عبداً لشهواته في الدنيا، أردته إلى الهلاك في الآخرة.

خوف اضطهاد المجتمع

ومن عوائق الهداية، خوف الاضطهاد والأذى الذي قد يكون من بعض الأقارب، بل قد يكون من الأب والأم والإخوان ، أو من زملاء العمل، أو

الدراسة ، أو الجيران ، ونحـوهم مـن أهـل الشـارع، فيمـر المتمسـك بالـدين بيـنهم فيسـتهزئون ويسـخرون ويلمـزون ويغمـزون بمظهـره أو لحيتـه، أو حجابها، وربما ازداد الأذى ووصل به الأمر إلى التضييق في العمل، أو نحـو ذلك من أنواع الاضطهاد والأذى ، فنقول له: هذه طبيعة هذا الـدين ، وهـذه سنة الله في خلقه، أن يفتن ويضطهد أصحاب الدعوات، :﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (العنكبوت٢) فهـذا طريـق الأنبيـاء والصالحين، وطريق الجنة غير ممهـد بـالورود والريـاحين، وعلـى قـدر مـا ينالك يكون لك الأجر والنعيم عند الله في الآخرة

المبحث الثالث

مشيئة الله ومشيئة العبد في الهدي والضلال

أولاً حرية العبد في اختياره للهدي والضلال

إذا كانت الهداية : معرفة الحقيقة والوصول إلى الطريق المستقيم وهو الإسلام ، والضلال : فقد ما يوصل إلى المطلوب ، والانحراف عن الإسلام ، وإذا كانت الهداية والضلال من الله – سبحانه وتعالي – بنص قول الله – عز وجل﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام ٨٨)

وقوله : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر ٢٣)

فقد يتوهم أن العبد ليس له حرية في الاختيار ، أو أنه مجبور علي الأفعال – وهذا ما يتوهمه البعض – لكن جعل الله تعالي الجنة للمهتدين والنار للضالين ، مما يدل بوضوح علي أن الإنسان هو المسئول عن الضلالة والهدي واستثنت الشريعة بعض الحالات من المسؤولية كالصبي والمجنون والمكره وعدم وصول الدعوة " وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا" ولو أجبر الله الإنسان علي الهداية أو الضلال لما كان للثواب والعقاب من كمال قال الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوف اليدين : وقال إياك إياك أن تبتل بالماء

فمن هنا ينبغي أن نقرر هنا حرية الإنسان في مشيئته ؛ لما أمده الله به من إرادة وحرية ، وقدرة علي الفعل ، وما خلقه له من القوي والملكات ، وجعل الله ذلك مناط تكليفه واختياره [(١)]

قال الله تعالي :- ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا {٢} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان :٣،٢)

وقال تعالي :-﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الملك :٢٣ ، واقرأ : الإسراء : ٣٦ ، وغيرها) .

وبين القرآن للإنسان طريق الهدي ورغب فيه ، وبين طريق الضلال ، ورهب منه ، يقول تعالي مبينا هدايته وبيانه للطريق " ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ◦ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ◦ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد : ٨ ، ١٠ ، ٩ فقد أثبت القرآن للعبد في غير ما آية منه المشيئة والاختيار فهاهي آية الإنسان السابقة ، وقول الله سبحانه وتعالي : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (يونس : ١٠٨)

.

وقد أثبت هذه الآيات وغيرها حرية الإنسان واختياره ، ومشيئته للهدي والضلال وأنه بهذه المشيئة والاختيار يستطيع أن يشكر أو أن يكفر . وقد نطق القرآن الكريم بإسناد الفعل إلى العبد في كثير من آياته ، مثل قول تعالي : ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحقاب :١٤)

---

(١) انظر مجموع فتاوي شيخ أحمد بن تيمية ١٠ /٤٧٨ -٤٨٠ ، والحنفي أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية ٤٩٤ ، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء ، ط ، المكتب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط/ ٤ ، ١٣٩١ هـ

وقوله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فالهدي يتم باختيار الإنسان ، والله – سبحانه وتعالي – خلق أسبابه للإنسان ، وذلك يتم بتوفيقه للهدي إن هو اختاره ـ قال – تعالي : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (الأنعام ١٤٩ ، واقرأ : البلد ٩ ، ١٠)

ةفي قول الله – سبحانه – ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ .. وهذا الفريق وذلك كلاهما لم يخرج علي مشيئة الله ، وكلاهما لم يقسره الله قسرا علي هدي أو ضلال ، إنما سالك طريقة الذي شاءت إرادة الله أن تجعل إرادته حرة في سلوكه ، بعد ما زودته بمعالم الطريق في نفسه وفي الآفاق .

كذلك ينفي القرآن الكريم بهذا النص وهم الإجبار الذي لوح به المشركون ، والذي يستند إليه كثير من العصاة والمنحرفين . والعقيدة الإسلامية عقيدة ناصعة واضحة في هذه النقطة . فالله يأمر عباده بالخير وينهاهم عن الشر ، ويعاقب المذنبين أحيانا في الدنيا عقوبات ظاهرة يتضح فيها غضبه عليهم . فلا مجال بعد هذا لأن يقال : إن إرادة الله تتدخل لترغمهم علي الانحراف ثم يعاقبهم عليه الله ! إنما هم متروكون لاختيار طريقهم وهذه هي إرادة الله . وكل ما يصدر عنهم من خير أو شر . من هدي ومن ضلال . يتم وفق مشيئة الله علي هذا المعني الذي فصلناه .[1]

---

(١) فصلت : ٤٦ ، وأقرا الشمس : ٩ –١٠ والنعام : ١٥٩ ، والمدثر : ٣٨ وغيرها من الآيات ، وانظر : السنن الإلهية في الحياة الإنسانية١ /١٠٣، ١٠٤

ثم يزيد الله الذين اهتدوا هدي بتفصيل الشرائع ، ومدهم بالحول والقوة على العمل بها ، وبنصرهم وبمضاعفة حسناتهم ، فهذه هداية إيمانية تزيد من إيمان المؤمن ، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها إلا بفضل الله عليه ، وبهذا يزول الإشكال .

والدليل علي ذلك أن القرآن الكريم يصف رسولنا الكريم بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٥٢} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ الشورة ٥٢ ، ٥٣ . ويصفة في آية أخري بقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص ٥٦)

ففي الآية الأولي الرسول يهدي الناس بدعوتهم إلى الإسلام فإن هم استجابوا بمحض إرادتهم يهديهم ببيانهم وتعليم تفاصيل الشريعة وأحكامها فهذه هداية منسوبه للرسول .

أما الآية الثانية فهي تتحدث عن أن الرسول عليه السلام لا يمكنه إن يهدي شخصاً لا يريد الاستجابة للإسلام أصلاً فهذا الشخص الذي رفض الاستجابة للدعوة لا يمكن للرسول أن يهديه للإسلام ، ولا أن يهدية للترقي فيه ؛ لأنه اختار الضلال ، وقوله ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾" [١][٢] ليس معني هذه الآيات أن الله تعالي منعهم من الهداية بقدرته فصاروا عاجزين عنها مجبرين علي الفسق والظلم والكفر إجباراً ، وإنما معناه : إن هذه الصفات التي رسخت في أنفسهم

---

(١) الظلال ٢١٧١/٣

(٢) التوبة ١٩ ، التوبة ٢٤ .

بكسبهم منافية لهدي الله الذي بعث به رسله بحسب سننه تعالي في الأسباب والمسببات [1]

وتعبير القرآن عن هؤلاء بالطبع علي قلوبهم أو عدم هدايتهم أو تثبيطهم إلى آخر هذه التعبيرات القرآنية عن هؤلاء ، لا يوهم ذلك أنهم مجبرون علي الفسق أو الضلال أو التثبيط عن الجهاد أوعدم العلم الخ ، لأن الناظر في هذه الآيات يتأكد له أن هؤلاء لهم كسب لإحلال هذه الصفات بهم كقوله تعالي " الفاسقين " " الكافرين " الظالمين " واستخدام المشتق هنا يدل علي أن الحكم معلل بما منه الاشتقاق فالفاسقون والكافرون والظالمون أسماء فاعلين من الفسق والكفر والظلم وكذلك الطبع علي قلوبهم كان لمثل هذه الأسباب ، ونجد هذه الدلالة أكثر صراحة في مثل قوله تعالي ﴿ نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وقوله : ﴿ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون ﴾ [2]

وفي آية ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء﴾ (المدثر ٣١) يقول صاحب الظلال المشيئة الطليقة التي قضت أن يكون هذا الخلق المسمي بالإنسان علي هذا الاستعداد المزدوج للهدي والضلال ، عن اختيار وحكمة ، لا عن اقتضاء أو إلزام .. وكذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم تلك تعين من يجاهد ، وتضل من يعاند ولا تظلم أحداً من العباد ... [3]

---

(١) النار ١١ ، ٨١ ، ٨٢

(٢) التوبة ٦٧ ، ١٢٧

(٣) الظلال ١٠٨١/١

ونخلص من هذا كله إلى إن الإنسان كائن حر مختار في هداه وضلاله قادر علي الفعل ، وانه محاسب ومجازي علي اختياره وفعله ، والله تعالي لا يجبر أحداً علي الهداية أو علي الضلال بل يوجه الرسالة للجميع فمن استجاب زاده نورا علي نور ومن رفض عاقبة عقابا شديدا فإرسال الرسل من الله ، وبيان الشريعة علي الله ، ومد يد العون والمساعدة من الله دون إكراه أو جبر،أما الاستجابة من عدمها فمن الإنسان بمحض اختياره .

ثانيا : التوفيق بين مشيئة الله ومشيئة العبد للهدي أو الضلال

إذا كان الإنسان كائناً حراً مختاراً في هداه ، وضلاله قادراً علي الفعل ، محاسباً ومجازاً علي اختياره وفعله ، وإذا كان الله تعالي لا يجبر أحداً علي الهداية أو الضلال ، فكيف نجمع بين ذلك ، وبين ما يقرره صريح القرآن من إرجاع كل شئ في الوجود إلى الله عز وجل ، ومنه الهدي والضلال ؟ ، أو بعبارة أخري : كيف نوفق بين مشيئة الله ومشيئة العبد للهدي أو الضلال نقول : إن الله – عز وجل – أسند الهدي والإضلال إلى مشيئته سبحانه في كثير من الآيات ، منها قوله تعالي : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل ٩٣ وقوله " ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [1] والواقع إن هذه وأمثالها نصوص عامة ولا بد وأن تحمل علي النصوص المقيدة ، فليست مشيئة الله للهداية والإضلال بأحوال خاصة وأسباب معينة ، وهذه الآيات المقيدة تبين لنا من يشاء الله تعالي هدايته

---

(١) الظلام : ٤ ، واقرأ : الزمر : ٣٦ – ٣٧

ومن يشاء إضلاله ، وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل لقد ربط الله عز وجل في كثير من الايات بين مشيئة العبد للهدي والضلال ، ومشيئته سبحانه وتعالي لهما .

والله سبحانه لا يشاء إلا العدل ، والرحمة ، فهداية الله سبحانه لعباده أو إضلالهم إنما تقوم علي أساس ترتب المسببات علي أسبابها والنتائج علي مقدمتها ، كما دل علي ذلك كثير من الآيات ومنها قوله تعالي : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء ﴾(إبراهيم : ٢٧) وقوله : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشوري :١٣) يبين سبحانه وتعالي في الآية الأولي إن سبب إضلاله لبعض عبادة هو الظلم ، وبين في الآية الثانية أن سبب هدايته لبعض عباده هو إنابتهم إليه .

وفي ذلك يقول ابن القيم (تكرر في القرآن الأعمال القائمة بالقلب والجوارح سبب الهداية والإضلال فيقوم بالقب والجوارح أعمال تقتضي الهدي ، اقتضاء السبب لمسببه والأثر لأثره ،وكذلك الضلال ، فأعمال البر تثمر الهدي ، وكلما ازداد منها هدي ، وأعمال الفجور بالضد، إن الله سبحانه يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدي والفلاح ويبغض أعمال الفجور ويجازي عليها بالضلال والشقاء) [1]

---

(١) الفوائد ١٢٩

ويقول ابن كثير (فالله يضل من يشاء عن جه الهدي ، ويهدي من يشاء إلى الحق وهو العزيز الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الحكيم في أفعاله فيضل من يستحق الإضلال ، ويهدي من هو أهل لذلك [١].

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عند تناوله لقول الله تعالي : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾(يونس : ١٠٠) أي وما لنفس ولا من شأنها فيما أشير إليه من استقلالها في أفعالها ولا أعطاها الله من الاختيار فيما هداه من النجدين ، وما ألهمها من فجورها وتقواها الفطريين ، أن تؤمن إلا بإرادة الله ومقتضي سنته في استطاعة الترجيح بين المتعارضين ، أن تؤمن بإرادة الله ومقتضي سنته في استطاعة الترجيح بين المتعارضين ، فهي مختارة في دائرة الأسباب والمسببات ، ولكنها غير مستقلة في اختيارها أتم الاستقلال ، بل مقيدة بنظام السنن والأقدار ، فالمنفي هو استطاعة الخروج من هذا النظام العام ، لا الاستطاعة الخاصة الموافقة له) [٢] .

وفي تفسير آية : ﴿ مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٦) يقول صاح الظلال :

إن الذين يضلون ، إنما يضلون لأنهم غافلون عن النظر والتدبر . ومن يغفل عن النظر في آيات الله وتدبرها يضله الله ؛ ومن يضله الله لا يهديه أحد من بعده ﴿ مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾ ومن يكتب الله عليه الضلال – وفق سنته تلك – يظل في طيغانه عن الحق وعماه عنه أبداً ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٥/٢

(٢) تفسير المنار ٤٨٤/١١

وما في تركهم في عماهم من ظلم ، فهم الذين أغلقوا بصائرهم وأبصارهم ، وهم الذين عطلوا قلوبهم وجوارحهم ، وهم الذين غفلوا عن بدائع الخلق وأسرار الوجود ، وشهادة الأشياء – التي يوجههم إليها في الآية السابقة – وحيثما امتد البصر في هذا الكون وجد عجيبة ، وحيثما فتحت العين وقعت علي آية ، وحيثما التفت الإنسان إلى نفسه أو إلى ما يحيط به ، لمس الإعجاز في تكوينه وفيما حوله من شيء . فإذا عمه – أي عمي – عن هذا كله ، ترك في عماه ، واذا طغي بعد هذا كله وتجاوز الحق ترك في طغيانه حتي يسلمه إلى البور .[1]

والي نفس المعني يشير صاحب (العقائد الإسلامية) تحت عنوان مشيئة الرب ومشيئة العبد فيقول وقد يقال : إذا كان الله منح العبد الحرية والاختيار فما معني قوله – تعالي :– ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾" (سورة التكوير ، آية ٢٩) معناها أن الإنسان لايشاء شيئا إلا إذا كان في حدود مشيئة الله وإرادته،فمشيئة البشر ليست مشيئة خارجة عن حدود مشيئة الله ، والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين : طريق الهداية ، أو طريق الضلالة .

فإذا اختار الطريق الأول ، ففي نطاق المشيئة الإلهية ، وإذا اختار الطريق الثاني ففي نطاقها أيضا، وكل الآيات التي جاءت علي هذا النحو فمعناها لا يتعدي ما ذكرناه .

---

(١) الظلال ٢/ ١٤٠٧

وقد يقال أيضا لقد جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (سورة النحل آية : ٩٣)

أي أن الله يضل من يشاء إضلاله ، ويهدي من يشاء هدايته ، واذا كان الله يضل ويهدي فليس للعبد حرية الاختيار ، والواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدمات ، ومسببات للأسباب .

فكما أن الطعام يغذي ، والماء يروي ، والسكين تقطع ،والنار تحرق ، فكذلك هناك أسباب توصل إلى الهداية ، وأسباب توصل إلى الضلال ، فالهداية إنما هي ثمار عمل صالح ، والضلال إنما هو نتائج عمل قبيح .

فإسناد الهداية والإضلال إلى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات ، لا أنه أجبر الإنسان علي الضلال والهداية .

وحينما نرجع إلى الآيات القرآنية نجد المعني بيناً وواضحا ، لا لبس فيه ولا غموض فالله يقول : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (سورة الرعد آية : ٢٧) ، ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت آية : ٦٩) ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ (سورة محمد آية :١٧) .

فهداية الله للناس بمعني لطفه بهم ، وتوفيقهم للعمل الصالح ، إنما هي ثمرة جهاد للنفس وإنابة إلى الله ، واستمساك بإرشاده ووحيه .[1]

وهذا يعني أن الهداية والإضلال والتي هي فعل الله عز وجل ، تقع جزاء لفعل العبد من اختياره وسلوكه طريق الهدي ، أو اختياره وسلوكه طريق الضلال .

---

(١) السيد سابق العقائد الإسلامية / طبعة الفتح للإعلام العربي / ط١٠ / ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م /ص ٩٢

الفصل الرابع

فوائد دراسة سنة الهدي والضلال ومدي الاستفادة منها

أولا : فوائد دراسة السنن عامة

النظر في سنن الله تعالي في خلقه وقوانينه في عباده وتوظيفها وإحسان التعامل معها ضرورة وفريضة ، فهي ضرورة للواقع المعيش الذي يحياه المسلمون فقد أصبح البون بينهم وبين عدوهم في الإدراك والتوظيف وإحسان التعامل شاسعاً والفرق واسعاً حتي صارت " خير أمة أخرجت للناس تصنف على أنها دول نامية أو عالم ثالث أو بتعبير أكثر صراحة الدول المتخلفة " وليست هذه الأوصاف لفقدان الموارد والطاقة أو لقلة المهارات والإمكانيات ولكن لهذا الغياب عن عالم الشهادة بما يموج به من صراعات فكرية وثقافية تعتمد علي أصول وترتكز علي أسس وتنطلق من قواعد ثابتة .

كما أن دراسة السنن وتدوينها وتوظيفها فريضة دينية لهذه الأوامر الصادقة التي تهيب بالمسلمين أن يسيروا في الأرض ويمشوا في مناكبها ويعتبروا بأحوال الماضيين . إن المسلمين ما قصروا في شيء تقصيرهم في هذا العلم الذي كان النبي ﷺ والصحابة الكرام من السابقين إلى إدراكه والتعامل معه [١] .

---

(١) فقه السنن الرابنية ومدي إفادة المسلمين منها (قراءة فكر الإمام محمد عبده) ، بحث مقدم إلى حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة – د . رمضان خميس الغريب .

يقول صاحب الأحياء وهو يقسم العلم إلى أقسام محمودة ومذمومة :

(وأعلي أقسام العلم المحمود العلم بالله وبصفاته وأفعاله وسننه في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة علي الدنيا فإن هذا علم مطلوب لذاته والتوصل به إلى مادة الآخرة) ويؤكد – رحمه الله – علي إن كل جهد يبذل في سبيل هذا العلم قليل جداً بالنسبة لقيمته وفائدته بقوله (وبذل المقدور فيه إلى اقصي غايات الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون علي سواحله وأطرافه بقدر ما بيسر لهم ... وما خاض أطرافه إلا الأنبياء الأولياء والراسخون في العلم علي اختلاف درجاتهم . [١]

هذا الكلمات من حجة الإسلام تحتاج إلى مدارسة ومذاكره حتي يعي المسلمون مطالبها وغاياتها ويدركوا قيمة هذا العلم الذي عده الإمام الغزالي – رحمة الله – من أعلي أقسام العلم المحمود .

والناظر في الآيات القرآنية التي تتحدث عن أحوال الأمم مع أنبيائهم يدرك أن هذه الأحوال تعني ما جري لهم مع أنبيائهم وما حل فيهم بسبب سلوكهم معهم وموقفهم منهم وفقا لسنة الله ، وما طلبه الله منا من الاتعاظ والاعتبار بهم . فيتحصل من ذلك أن معرفة سنن الله جزء من معرفة الدين أو معرفة لجزء من الدين ، وأن هذه المعرفة ضرورية ومن الواجبات الدينية لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتي لا نقع في الخطأ والعثور والغرور والأماني الكاذبة ، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه ، ونظفر بما وعد الله به عبادة المؤمنين المتقين ...

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١ ،ص ٤٥ ، ط ١ ، عيسي البابي الحلبي بدون تاريخ

ودراسة السنن إنما هو لأجل تعريف المسلمين في كل مكان ببعض حقائق الإسلام العظيم ومعناه وقوانينه الثابتة ، لا ليخزنوا هذه المعلومة في رؤوسهم وإنما ليجعلوها محركا ودافعا لنفوسهم للعمل الجدي الصحيح الدؤوب الصامت وفقا لمقتضيات سنن الله في التبديل والتحويل من السيئ إلى الحسن ومن حياة الذل إلى حياة العز ، ومن التبعة الذليلة المهينة للطواغيت والكفرة والفجرة ، إلى حيث أراد اله تعالي للمؤمنين من العزة والكرامة والقيادة للبشر جميعاً قال تعالي :﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٣٩) ، وقال تعالي : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ سورة المنافقون، آية ٨) [١]

يقول أحد المعاصرين الذين تحدثوا في هذا المجال [٢]

وموضوع السنن الإلهية موضوع في غاية الأهمية ، لأنه يؤثر في النفوس حقيقة إيمانية كبري ، مؤداها إن لهذا الإنسان في حياته قوانينا تنظيم كل شؤون الحياة ، كما أن للكون نواميساً تنظم حركته وتضبط مسيرته وتفاعلياته ، وهذا كله مصدقا لقول الله تعالي : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر ٤٩ . وقوله تعالي : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٧ . إن المسلمين عندما أدركوا

---

(١) السنن الإلهية في الم والجماعات والأفـهراد ص ١٦ ،١٧

(٢) د/ محمد عويضة ، في الكلمة التي ألقاها امام مؤتمر كلية الشريعة الخامس : السنن الإلهية في الكتاب والسنة / ٢٣ –٢٥ جماد الأول ١٤٢٤ هـ / ٢٢ –٢٤ / ٧ /٢٠٠٣

هذه الحقيقة وعملوا بهديها ملكوا أسباب التقدم والحضارة والانتصار ، ولما غفلوا عن هذه الحقيقة أصابهم ما أصابهم من ضعف وتخلف وانهزام . [1]

والعلم بالسنن الإلهية يجنب صاحبة الاعتقاد الخاطئ بأن الكون والحياة تحكمها المصادفة والفوضي ، بل توقفه علي ما أودعه الله فيهما من سنن في الجانب الطبيعي ، أو الجانب الإنساني ، ليس لمجرد المعرفة فقط بل لبيان أن من يسير وفق سنن الله تعالي ، فإنه يلقي في حياته جزاء سيره هذا الهدي في دينه ، والرخاء في معيشته ، والقوة والنصر في حياته .

أما من خرج عن مقتضي السنن الإلهية في الكون ، والحياة ، فإنه يلقي جزاء ذلك ضلالا في دينه ، وشدة وشقاء في حياته .

والواقع أن اتباع السنن الإلهية ، إذا كان يأتي صاحبة بنتائجه الطيبة في حياته فإن ذلك لا يرجع إلى مجرد اتباعه لسنن الله الكونية ، بل لا بد لتحقيق هذه الغاية من اتباع سنن الله في الحياة الإنسانية ، فهما مرتبطان وصادران من مصدر واحد ولا تقتصر أهمية علم السنن علي ما يترتب عليهما من الجزاء الدنيوي ، بل إنها ترجع كذلك إلى ما يترتب عليها من الجزاء الأخروي إتباعا لسنن الله تعالي أو خروجا عليها هذا العلم ومعرفته والانتفاع به أكثر أهمية بالنسبة للحياة الإسلامية المعاصرة من أي وقت مضي ، ذلك أن الأمة الإسلامية لم تصل إلى ما وصلت إليه من تفرق وشدة وضنك وتخبط ، وهزيمة أمام أعدائها حتى فقدت السيطرة علي

---

(١)مجلة جامعة الزرقاء الأهلية (مؤتمر كلية الشريعة الخامس : السنن الإلهية في الكتاب والسنة)٢٣-٥٢ جمادي الأول ١٤٢٤ هـ/٢٢ -٢٤ /٧ /٢٠٠٣ ، كلمة رئيس اللجنة التحضيرية ، د / محمد عويضة

مقاديرها وتحكم فيها ما كانوا بالأمس محكومين لها ، إلا يوم أهملت معرفة سنن الله تعالي في الكون والانتفاع بها في التقدم والرقي .[1]

<u>ثانياً : فوائد دراسة سنة الهدي والضلال ، ومدي الاستفادة منها</u>

إذا كان معني السنة هو معني القانون العام من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة التي يمكن تسميتها بالقانون العام ... وإنها تتسم بالثبات والإطراد والعموم .. فإن معرفة سنن الله جزء من الدين أو معرفة لجزء من الدين ، وأن هذه المعرفة ضرورية ومن الواجبات الدينية التي تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتي لا نقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة [2]

فالعلم بسنة الهدي والضلال أهم ضرورة وأعظم ، وذلك لبيان أن من يسير وفق سنن الله تعالي ، فإنه يلقي في حياته جزاء سيره والرخاء في معيشته ، والقوة والنصر في حياته ، واذا كانت دراسة السنن والعلم بها لتعريف المسلمين في بكل مكان ببعض حقائق الإسلام العظيم ومعانية وقوانينه الثابتة ، وليجنب صاحبه الاعتقاد الخاطئ بأن الكون والحياة تحكمها المصادفة والفوضي ، بل توقفه علي ما أودعه الله فيهما من سنن ؛ أقول إذا كان الأمر كذلك فواجب المسلم تجاه هذه السنة أن يؤمن يقيناً بأن الفوز والفلاح لمتبع هدي الله ، وأن الهداية موهبة وفضل إلهي ، فعليه أن

---

(١) السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك ، تأليف د / شريف الشيخ صالح الخطيب ٧/١ ، ٨

(٢) د/ عبد الكريم زيدان : السنن الإلهية في الم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية / ص ١٤ ، ١٦

يؤهل نفسه لقبول الآيات والاتعاظ بها ، ويبدي استعداده لقبول هدي الله ، ويتدبر ويتفكر في إدراك سنة الهدي ، ويتجاوب مع الرسالات السماوية ، ويبتعد عن هوي النفس والشيطان ، وأن يقتدي بالنماذج التي كتب الله لها الهداية ، وأن ينتفع بالأمثلة التي ضربها الله لخلقه في القرآن الكريم ، والأحداث التي تقع أمام عينيه ليل نهار لبيان معني الهداية إلى الحق ، والوصول إليها ؛ حتى يكتب له الهدي الحقيقي ، ويمده الله بهداه ؛ ويوفقه للبعد عن أهل الضلال .

فالعلم بالسنن عامة وبسنة الهدي والضلال خاصة ، والعمل بهما لازم للأفراد بذواتهم وللأمة بأسرها ، وذلك لتحقيق الأمن والطمأنينة ، والفوز والفلاح للأفراد – كما أسلفنا – بالنسبة للأمة لتحقيق منهج الله ونصرة دينه ، والعودة إلى موقع الشهادة علي الأمم ، والخيرية عليها .

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة الطيبة والمعايشة الوجدانية في رحاب هذه السنة الإلهية الكريمة نخلص إلى النتائج التالية :

- معني (سنة الله في الهدي والضلال) : منهج الله وطريقته في إرشاد العباد ودلالتهم إلى الطريق المستقيم ، أو إبعادهم عنه .
- أن لفظ السنة ورد مفرداً ومجموعاً ، كما ورد في السور المكية والسور المدنية علي حد سواء .
- أن السنة عندما كانت ترد مضافا إلى الأمم التي قد خلت من قبل " وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ" فإنه قد يراد من السنة ما شرعه الله لمن قبلنا من هذه الم الماضية ، أو الطرق الحميدة والعادات الرشيدة ، والكيفية التي حققوا بها أقوال وتوجيهات أنبيائهم ، وعندما كانت تضاف إلى " مَن قَدْ أَرْسَلْنَا" فإنها تكون بمعني الشرع والمناهج الذي سنه الله لهؤلاء الأنبياء ، أو أن هذه طريقة الأنبياء وعادتهم في تناول ما أحلة الله لهم ، وعندما كانت تأتي مضافة إلى الله – تعالي – فإنها تكون بمعني أحكامه ووقائعه ، وأحداثه التي جرت علي المخالفين لأمره ، والناكبين لعهده ، والتنكرين طريقة المستقيم .
- وردت صيغة الهدي في القرآن الكريم كثيراً ، ولازمت الرحمة في ثلاث عشرة آية كما وردت لفظ " الهدي" في القرآن علي معاني عديدة منها :
- الرشد ، والنور، والأنبياء والرسل ، والإسلام ، والكتاب والرسول والدليل الذي يهدي الطريق ، والدين المستقيم وفي المقابل ورد لفظ " الضلال " علي معان منها :
- أنه نقيض الهدي ، وأنه الضياع ، وأنه بمعني الخذلان وسلب التوفيق . وبمعني نوبان العقل في الشيء ، وبمعني الانعدام والهلاك . والذهاب

عن الصواب وسعر الجنون ، وترك الطريق المستقيم عمدا كان أو سهوا ، قليلا كان أو كثيرا .

- هناك حقائق في سنة الهدي والضلال يجب الاعتبار بها ، ومنها :

= أن الفوز والفلاح لمتبع هدي الله ، ويظهر ذلك بتحقيق السلامة من الخوف والحزن و، الابتعاد عن الضلال والشقاء .

= أن الهداية موهبة وفضل إلهي ، ولا تكون إلا لمن توفرت فيه سائر شروط الهدي ، بأن يتبع مقومات الحياة ، ويقبل الآيات ويتعظ بها ويبدي استعداده لقبول هدي الله ، ويتدبر ويتفكر في إدراك سنة الهدي ، ويتجاوب مع الرسالات السماوية ، ويبتعد عن هوي النفس والشيطان ، ويقتدي بالنماذج التي أنعم الله عليها بالهدي .

- ضرب المثل لبيان معني الهداية إلى الحق والوصول إليها
- أن حقيقة الهدي نور من الله – عز وجل ثقة الأمة بأن الله – سبحانه – هو الهادي
- للهدي علامات أوضحتها آيات من القرآن الكريم ، ومنها : شرح الصدر للإسلام والتسليم اجتناب الطاغوت
- علي المسلم أن يستفيد من أنواع الهداية وخاصة هداية البيان والتعريف لنجدي الخير والشر حتى يعيش مطمئنا في دنياه ويرقي إلى الفلاح في أخراه .
- إن للهداية أسباباً سلبية وإيجابية ، أما السلبية فهي البعد عن أسباب الضلال ومنها : إهمال الحواس والمواهب عن التفكر في آيات الله والانتفاع بها ، والظن والتقليد وأتباع الهوي ، وأما الإيجابية فهي

الإقبال علي هدي الله ، والعلم بالله وتعظيم أسمائه وصفاته ، والعمل بكتابة واستعمال النعم والمواهب في التفكر في آيات الله ، وحوادث الدهر ، ومجاهدة النفس بالصبر علي الطاعات والبعد عن المعاصي ومجاهدة الأعداء الظاهرة والباطنة ، وخشية الله في السر والعلن ، وكثرة ذكره والصحبة الصالحة ، وغيرها مما يقرب إلى الله ويجلب رضاه .

- إن للهداية معوقات تعوق الإنسان عن الوصول إليها ، فعلي المسلم أن يفطن لها ويجاهد نفسه بالبعد عنها ، ومنها : تكرار الوقوع في المعصية ، الاحتجاج بالمشيئة ، والتسويف ، والاغترار بالدنيا ، وازدراء المهتدين ، وحب التحرر واعتقاد حسن النية ، خوف الاضطهاد ، وغيرها .
- الأنسان كائن حر مختار في هداه ، وضلاله قادر علي الفعل ، وأنه محاسب ومجازي علي اختياره وفعله ، والله تعالي لا يجبر أحداً علي الهداية أو علي الضلال بل يوجه الرسالة للجميع فمن قبلها وسار في طريق الهدي زاده الله هدي ، ومن تنكب عنها أمده في طغيانه وضلاله ، فإسناد الهداية والإضلال إلى الله من حيث أنه وضع نظام الأسباب والمسببات ، لا أنه أجبر الإنسان علي الضلال والهداية ، فلا تناقض بين مشيئة العبد واختياره وبين مشيئة الله وتقديره والهداية والإضلال الذي هما فعل الله – عز وجل – تقع جزاء لفعل العبد من اختياره وسلوكه طريق الهدي ، أو اختياره وسلوكه طريق الضلال .

العلم بالسنن عامة وبسنة الهدي والضلال خاصة ، والعمل بهما لازم للأفراد لتحقيق الأمن والطمأنينة ، والفوز والفلاح لتحقيق منهج الله ونصرة دينه ، والعودة إلى موقع الخيرية

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

(أ)القرآن الكريم

(ب)

١- ابن تيمية : أحمد بن الحليم – شيخ الإسلام – في مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، وابنه محمد طبع بإشراف : الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين ، ط / أولي ١٣٩٨ هـ

٢- ابن القيم الجوزية ت ٧٥١هـ في : الفوائد ط / المكتبة القيمة ، القاهرة ١٩٨٧م.

٣- ابن كثير : أبو عبد الله محمد في : تفسير القرآن العظيم ، ط / دار الفكر ، بيروت ،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ....

٤- ابن ماجة : محمد بن يزيد القزوني أبو عبد الله في : سننه ط / دار الفكر ، بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ....

٥- ابن منظور : جمال الدين محمد بن كارم بن منظور الإفريقي ٧١١/٦٣٠هـ ، في لسان العرب ، ط / بلاق – الدار المصرية للتأليف والترجمة

٦- أبو الحسن : د/ صديق عبد العظيم ، في مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم (بحث منشور بمجلة : الشريعة والدراسات الإسلامية " جلة علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في

جامعة الكويت " السنة ١٢ ، العدد ٣١ ، ذو القعدة ١٤١٧هـ أبريل ١٩٩٧ م) .

٧- أبو الحسن : أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ في : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط / عبد السلام محمد هارون ، ط/ مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده – مصر ، ط / ثانية ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ .

٨- أبو العز الحنفي في : شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق ومراجعة جماعة م العلماء ، " ط / المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،ط / ٤، ١٣٩١ هـ

٩- الأصفهاني : الراغب في : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ط/ دار المعرفة بيروت

١٠- الآلوسي البغدادي في : روح المعاني ، ط / دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١١- البغوي : أبي الحسين محمد الفراء في : معالم التنزيل ، ط/ دار الكتب العلمية ، بيروت

١٢- الترمذي : محمد بن عيسي السلمي أبو عيسي ٢٠٩ – ٢٧٩ هـ في : الجمع الصحيح ، ط / دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

١٣- الجرجاني : على بن محمد بن على ٧٤٠ – ٨١٦ هـ في التعريفات ، ط / دار الفكر العربي ، بيروت ط / أولى ١٤٠٥ ، تحقيق : إبراهيم الإبياري

١٤-الجلالين : في تفسير الجلالين ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، ط أولي

١٥- الحمصي : محمد حسن فهارس القرآن الكريم (فهرست الألفاظ) ، ملحق بالمصحف الشريف / ط / مؤسسة الإيمان ، ودار الرشيد ، بيروت ودمشق .

١٦-الخطيب : شريف الشيخ صالح أحمد ، في : السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك ، ط / / مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ط / أولي ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م

١٧-الرازي : أبو بكر عبد القادرت ٧٢١ هـ في : مختار الصحاح / ط/ مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ١٤١٥ -١٩٩٥ ط / جديدة تحقيق محمود خاطر

١٨-الرازي : محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ٥٤٤ - ٦٠٤ هـ في : مفاتيح الغيب ط / دار الفكر للطابعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ، أولي ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

١٩-رضا : محمد رشيد والشيخ محمد عبده ، في تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) ٢ /١٨ ،١٩ ط / دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د ت

٢٠-الزراعي : محمد بن أبي بكر أيوب عبد الله ٦٩١ -٧٥١ هـ في : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / ط/ دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ -١٩٧٨ م . تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي

٢١-الزمخشري : أبو القاسم عمر بن أحمد بن محمد في / أساس البلاغة ٤٦٢/١ ، ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط / ثالثة ١٩٨٥ م

٢٢-الزمخشري : أبو القاسم عمر بن أحمد بن محمد في الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الإقاويل ، ط / دار المعرفة للطباعة والنشر ، وبيروت

٢٣-زيدان : د / عبد الكريم ، في : السنن الإلهية في الم والجماعات والأفراد في الشريعي الإسلامية ، ط / مؤسسة الرسالة ، لبنان ،ط ، ثالثة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م

٢٤-سابق السيد في العقائد الإسلامية / طبعة الفتح للإعلام العربي / ط ١٠ /١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠ م .

٢٥-السعدي : عبد الرحمن بن ناصر ١٣٠٧ -١٣٧٦ هـ في: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ط / دار ابن الجوزي ، اللملكة العربية السعودية ، ط / أولي ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م

٢٦- الشيباني : أحمد بن حنبل أبو عبد الله ١٦٤ — ٢٤١ هـ في مسنده ، ط / مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / أولي ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م ، تحقيق شعيب الأرناؤط ، ومحمد نعيم

٢٧-الشوكاني : محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠ هـ في : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، ط / مصطفي البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط / ثانية ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م ، ط / دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ثانية ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .

٢٨-الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير في جامع البيان ، ط دار المعرفة ، بيروت ط / ١٩٩٠ م.

٢٩-الغزالي : أبو حامد في : - إحياء علوم الدين ، ط ١ ، عيسي البابي الحلبي بدون تاريخ

٣٠-الغريب : رمضان خميس في فقه السنن الربانية ومدي إفادة المسلمين منها (قراءة في فكر الإمام محمد عبده) ، بحث مقدم إلى حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

٣١-الفراء : أبي الحسين ت ٥٣٣٨ — في : معاني القرآن ، ط / جامعة أم القري ، مكة المكرمة ، ط أولي ١٤٠٩ هـ تحقيق : محمد علي الصابوني

٣٢-الفيروزبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧ هـ في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تحقيق : محمد علي النجار ، ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط / ثانية ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م ، تحقيق : عبد العليم الطحاوي ، ط / المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان

٣٣-القرطبي أبو عبد الله في : الجامع لحكام القرآن ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ,

٣٤-قطب : الشيخ سيد ، في ظلال القرآن ، ط / دار الشروق ، ط / ثانية ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

٣٥-مجلة جامعة الزرقاء الأهلية (مؤتمر كلية الشريعة الخامس : لسنن الإلهية في الكتاب والسنة) ٢٣ -٢٥ جمادي الأول ١٤٢٤ هـ

/ ٢٢ -٢٤ /٢٠٠٣/٧/ ، كلمة رئيس اللجنة التحضيرية ، د/ محمد عويضه .

٣٦-الماوردي : في : أدب الدين والدنيا ص ١٥٥ -١٥٨ (بتصرف واختصار) ط / المطبعة الأميرية ببولاق / القاهرة ، ط ٤ /١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م

٣٧-مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسن ٢٠٦ -٢٦١ هـ في صحيحة : ط / دار الكتب العلمية بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

٣٨-مقاتل بن سليمان الإمام في : الشباه والنظائر في القرآن الكريم ، تحقيق د / عبد الله محمود شحاته ، منشورات : وزارة الثقافة والمكتبة العربية ، د.ب

٣٩- مقلد : شعبان رمضان محمود في : الطاعة وأثرها في ضوء القرآن الكريم (بحث منشور بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر ، عدد ٢٣ لسنة ٢٠٠٥ م)

٤٠-المناوي : محمد عبد الرؤوف ٩٥٢ -١٠٣١ هـ في : التوقيف علي مهمات التعاريف ، ط / دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط أولي ١٤١٠ هـ تحقيق : محمد رضوان الداية

٤١-نوفل : عبد الرزاق في : افعجاز العددي للقرآن الكريم : ط / مؤسسة دار الشعب ط / ١٩٧٦ م . النووي ت٦٧٦ هـ في : شرح صحيح مسلم ، دار القلم ، بيروت ، ط / أولي ١٩٨٧ م.